الطريق إلى
الصبر الجميل

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٨٩٩٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977- 390 - 006 – 1

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢

المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

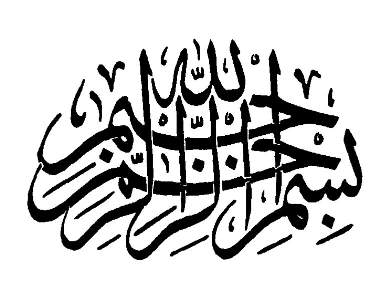
الطريق إلى

الصبر الجميل

تأليف أم أنس بنت محمد الأنصاري

أشرف على تحقيقه فضيلة الشيخ
مصطفى بن العدوي

دار ابن رجب


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

وبعد :

فهذه رسالة لطيفة في بعض أبواب الصبر جمعتها أختنا في الله أم أنس حفظها الله ونفع بها ، وقد راجعت أحاديثها فألفيتها في الجملة موفقة وإن كان في بعض أحاديثها ضعف لكن لكونها في فضائل الأعمال من ناحية ومن ناحية أخرى لكونها اعتمدت بعض تصحيحات أهل العلم فقد تركتها وشأنها فيها ، فالله أسأل أن يبارك فيها وينفع بها وبرسالتها وأن يوفقها لمواصلة طلب العلم .

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى العدوي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً مباركاً طيباً كما يحب ربي ويرضى ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد ﷺ النبي المصطفي ورسوله المرتضى ، وخاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين .

وبعد :

لما كانت عبادة **الله** ﷻ وإقامة شرعه في الأرض لا تتحقق إلا بالصبر الجميل ، وحيث أنه قد ضاق مفهوم الصبر عند كثير من الناس وحسبوه أنه مجرد الصبر على ما يصيب الإنسان من أقدار مؤلمة فقط : فأردت أن أوضح في هذه الرسالة المتواضعة المختصرة بمشيئة الله تعالى المعنى الصحيح الشامل لكلمة الصبر ومدى أهميته لإقامة دين **الله** ﷻ ، وشروطه وأنواعه وثمراته العظيمة في الدنيا والآخرة ، حيث أنه بالصبر الجميل يفوز العبد بمعية **الله** ﷻ وحبه له في الدنيا ويفوز بالسعادة الأبدية في الآخرة وكذلك وضحت فيها الأشياء التي تعين على الصبر الجميل وضرورة الابتلاء وحقيقته وأنواعه والحكمة منه وصفات الصابرين وغيرها من المواضيع التي تتعلق بالصبر مستدلة على ما سبق بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة . فأسأل الله

العلي القدير أن يوفقني إلى ما هو صحيح وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم نافعاً للقارئين والله أسأل أن يجعله لنا جميعاً علماً نافعاً وأن يجعله حجة لنا لا علينا .. اللهم آمين

أم أنس

سمية محمد الأنصاري

الطريق إلى الصبر الجميل

المفهوم الشرعي للصبر :

هو حبس النفس على طاعة **الله** ﷻ وعلى الصبر على أقدار الله وعن محارم الله .

ولتوضيح ما سبق نقول : أن مفهوم الصبر قد خُفي حقاً على كثير من الناس أو ضاق مفهومه عندهم حيث يفسرونه حبس النفس على أقدار الله المؤلمة .

ولكن حقيقة الصبر أوسع من ذلك وأعم من ذلك : إنه الصبر على الحكمة الإلهية التي خلق الله ﷻ الإنس والجن من أجلها .

فهل تعلم يا عبد الله لماذا خلقك الله ﷻ ؟.

أو ما هي الحكمة الإلهية من خلق الإنس والجن ؟.

لقد جاءت الإجابة واضحة في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** ﴾ [الذاريات : ٥٦]

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾ [الملك : ٢]

فيتضح مما سبق أن الحكمة الإلهية من خلق الإنس والجن هي عبادة **الله** ﷻ وإقامة دينه في الأرض .

ومرجع الدين كله يرجع إلي قواعد ثلاث :-

١- فعل الطاعات .

٢- ترك المحظورات ((المحرمات)) .

٣- الصبر علي المقدور .

ولهذا يذكر عن علي رضي الله عنه أنه قال : الصبر ثلاثة : [صبر على المصيبة – وصبر على الطاعة – وصبر عن المعصية]

ولهذا يتضح المعنى الحقيقي للصبر كما سبق تعريفه .

وسنوضح المقصود من كل نوع من أنواع الصبر بمشيئة الله تعالى .

أنواع الصبر

أولاً : الصبر علي طاعة الله عز وجل

اعلم يا عبد الله أن الصبر على طاعة الله من أعظم القربات إلى الله عز وجل ويحتاج إلى قوة في الإيمان وعزيمة على العمل .

ثم لنعلم جميعاً أن كفر إبليس لعنه الله كان بسبب عدم صبره على طاعة الله عز وجل حيث أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأبى واستكبر وكفر كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٣٤] وكان نتيجة كفر إبليس وعدم صبره على طاعة الله أن لعنه الله عز وجل وأهبطه من الجنة قال تعالى : ﴿ **قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [ص : ٧٧ - ٧٨]

فيتوعد الشيطان لآدم عليه السلام وذريته من بعده كما أخبرنا الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٧]

إذن يتضح مما سبق عدم صبر إبليس على طاعة الله ﷻ التي تتمثل في السجود لآدم عليه السلام وكان سبب خروجه من الجنة ولهذا توعد لآدم وذريته بأنه سيتربص لهم الصراط وسيبذل غاية جهده ليصدهم عن سبيل الله وأنه سيأتيهم من جميع الجوانب و الجهات ليحقق مطلوبه فيهم ، ومن نعم الله ﷻ علينا أن نبهنا إلى ما قال وعزم على فعله لنأخذ حذرنا ونستعد لعدونا وجاء تنبيه الله ﷻ لنا على عداوته في مواضع كثيرة والتي منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [فاطر : ٦]

فالشيطان يتربص لعباد الله في طرق الطاعة ليثبطهم وليكونوا من أوليائه .

فهو لا يمل أبدا .. ما من طريق فيه طاعة إلا وقعد عليه للإغواء .

عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهة قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقه فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلامِ فَقَالَ تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**))[1] .

(١) صحيح : النسائي (٣٠٨٣) ، أحمد (١٥٥٢٨) .

بيان ذلك

فإذا أراد شاب أن يدخل في دائرة الالتزام يأتي الشيطان فيثبطه ويقعده عنه يذكره بأصدقاء السوء وكيف يفارقهم أو يتخلى عنهم ، أو أراد أن يهاجر من مكان فيه منكر أو سوء يزين له المكث والبقاء أو أراد أن يخرج الزكاة أو النفقة في سبيل الله ، فيأتي الشيطان فيوسوس له : إن هـــذه النفقة ستكون سبباً في قلة مالك وفقرك فيجد الإنسان في نفسه مشقة لإخراجها وهذا كما أخبرنا الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٦٨]

أو أراد أن يجاهد في سبيل الله لرفع راية الملة وحفظ بلاد الإسلام فيزين له القعود والتخلف خوفا على فقد نفسه أو زوجته أو ماله ولكن من رحمة الله ﷻ بنا أن فعل الشيطان مرده إلى الكيد وأن كيده إلى ضعف . ولا يتمكن من أولياء الله المتقين ولا يستطيع أن يُثني أو يثبط من عزمهم كما أخبرنا الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ [النساء : ٧٦]

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [الحجر : ٤٠]

فعلم الشيطان لعنه الله أنه لا يتمكن من عباد الله المخلصين ومثال على ذلك ما حدث ليوسف عليه السلام حينما راودته امرأة العزيز عن نفسه، صبر ولم يستجيب لها والذي أعانه على الشيطان إخلاصه لله ﷻ فجعله الله من

المخلصين كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤]

هذا بخلاف إخـــوان الشياطين فإنهم سرعان مـــا يستجيبون للشيطان وينقادون له فيتمكن منهم بل ويتمادى في إغوائهم كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۞ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف : ٢٠١ - ٢٠٢]

ففي الآيات السابقة يوضح الله ﷻ أن هناك فرق بين المتقين والغاوين فالمتقي إذا أحس بذنب ومسه طائف من الشيطان فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب تذكر من أي باب أتاه الشيطان فيستغفر ويتوب ويكثر من الحسنات لأن الحسنات يذهبن السيئات ولهذا يخنس شيطانه وينتهي عنه، أما إخوان الشياطين وأولياؤهم فإنهم إذا وقعوا في الذنوب لا يتذكرون بل يستمرون في معاصيهم و ذنوبهم وينتقلون من ذنب إلي ذنب و لهذا تتمكن منهم الشياطين ولا تُقصر عنهم الإغواء فهذا من جانب ((**إن كيد الشيطان كان ضعيفاً**))

ثم من جانب آخر فلنعلم أن لله ﷻ واعظاً في قلب كل مسلم كما جاء في الحـــديث . عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأَنْصَـــارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ((**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلاَ تَتَعَوَّجُوا وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ**

إنْ تَفْتَحْهُ تَلجْهُ وَالصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ وَالسُّورَان حُدُودُ اللَّه تَعَالَى وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّه تَعَالَى وَذَلكَ الدَّاعي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاط كتَابُ الله ﷻ وَالدَّاعي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعظُ اللَّه في قَلْب كُلِّ مُسْلم))[1] .

إذن هذه نعم عظيمة من الله ﷻ : كتاب الله وواعظ الله في قلب كل مسلم جعلها الله عوناً لعباده الصالحين على سلوك الطريق المستقيم ، وفي نفس الوقت فعل الطاعات يحتاج إلى صبر لما فيها من مشقة على النفس وعلى البدن ولهذا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]

فهذه الآية العظيمة ختم الله بها سورة آل عمران حيث أن فيها وصية جامعة لسعادة الدارين حيث أمرنا الله فيها بأربعة أشياء :

اصبروا : علي مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد .

صابروا : استمروا على ذلك وغالبوا أعداء الله بالصبر على طاعة الله والجهاد وأهوال القتال وشدائد الحروب .

رابطوا : كثرة الخير والاستمرار عليه وتتابعه وملازمة الثغور استعداداً للجهاد .

واتقوا الله : بفعل الطاعات رجاء ثواب الله وترك المحرمات خشية عقاب الله . والتقوى تشمل كل ما سبق .

ثم جعل الله ﷻ هذه الأربعة أشياء توصل إلي الفلاح والفوز بالسعادة الأبدية ولهذا قال تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

---

(١) حسن : أحمد (١٧١٨٢) ، الترمذي (٢٨٥٩) .

مثال على الصبر على طاعة الله

صبر إبراهيم عليه السلام عندما أمره الله بذبح إسماعيل عليه السلام وصبر إسماعيل على تنفيذ أمر الله عز وجل كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات : ١٠٢]

إنها قصة عظيمة توضح كيف قدم إبراهيم عليه السلام حبه لله عز وجل على حب ابنه ، فقد رزق الله إبراهيم إسماعيل عليه السلام على الكبر فأحبه حباً شديداً فابتلاه الله عز وجل ليتبين صفاء إبراهيم وكمال محبته لربه وخلته فإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن والخلة أعلى أنواع المحبة فما هي نتيجة هذا الابتلاء ؟؟ .

عزم إبراهيم على ذبح ابنه وقدم إسماعيل نفسه لأبيه ففداه الله بذبح عظيم فذبحه إبراهيم فداءً لإسماعيل .

أين نحن من صبر الرسل والأنبياء ولهذا قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ** ﴾ [الصافات : ١٠٦]

فهذا هو الابتلاء الواضح الذي يتبين به أعلى درجات الصبر على طاعة الله عز وجل .

اللهم اجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ثانياً : الصبر عن محارم الله

وهو أن يحبس الإنسان نفسه عما حرم الله عز وجل مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر وأكل الحرام فهذه أشياء حرمها الله عز وجل والشيطان يُزين

للإنسان فعل هذه المحرمات وكذلك النفس الأمارة بالسوء فالصابر هو الذي يحبس نفسه عن فعل هذه المحرمات .

أول معصية لآدم سببها عدم الصبر عن محارم الله

ولنعلم أن المعصية الأولى على وجه الأرض والتي فعلها آدم عليه السلام لأنه أول من كُلف على وجه الأرض وكانت بسبب عدم صبره عليه السلام عن معصية الله عز وجل والابتعاد عما حرمه الله تعالى حيث أغراه إبليس لعنه الله بالأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : ٣٥]

فبعدما أمر الله عز وجل آدم أن يسكن الجنة ونهاه عن الاقتراب من الشجرة وسوس الشيطان لآدم وزوجته وأغراهم بأن الأكل من هذه الشجرة التي حرمها الله سيكون سبباً في نيل الملك والخلد كما أخبرنا الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ** ﴾ [الأعراف : ٢٠ - ٢١]

وبعد وسوسة الشيطان وإغوائه لآدم عليه السلام وتزيينه له تعجل آدم عليه السلام و لم يصبر وهذه هي طبيعة الإنسان كما قال تعالى : ﴿ **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾ [الإسراء : ١١] وكما قال تعالى : ﴿ **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُون** ﴾ [الأنبياء : ٣٧]

ثم ماذا بعد الاستعجال و ماذا بعد عدم الصبر ؟؟

أهبط الله ﷻ آدم وحواء من الجنة وكل ذلك لحكمة من الله ﷻ ليُرى آدم و ذريته التجربة العملية لكيفية إقامة منهج الله في الأرض وليوضح عداوة إبليس لآدم وذريته وقد أخبرنا الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ [البقرة : ٣٦]

مثال على الصبر عن محارم الله

صبر يوسف عليه السلام عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه .

نعم لقد أحاطت الفتن بيوسف عليه السلام من جميع الجوانب : فهو شاب في ذروة شبابه – أعزب – بكامل صحته وقواه ، أُعطى نصف جمال المخلوقات تدعوه امرأة جميلة ذات منصب لنفسها ، وتغلق الأبواب و تقول هيت لك ، وبعد ذلك تهدده بالسجن وفوق هذا كله فهو غريب وعبد عند زوجها ، ولكن سبحان الله ! يصبر يوسف عن معصية الله ويحتمي **بالله** ﷻ ويقول : ﴿ **معاذ الله** ﴾ .

أي : أعوذ بالله من هذا الفعل القبيح مع وجود الداعي القوي فيه ولكنه ترك المعصية **لله** ﷻ وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء هذا هو الصبر عن معصية الله سبحانه وتعالى ولننظر إلى شباب اليوم الذين يتجرءون على حرمات **الله** ﷻ لا يغضون أبصارهم عن النساء بل اقتحموا حرمات الله إنهم حقاً يلهثون خلف المعاصي ويقولون نحن معذورون لأن الفتن تحيط بنا من كل جانب !! عدم قدرة على الزواج !! تبرج النساء !!... فليعلم أمثال هؤلاء إنه الابتلاء من **الله** ﷻ فأين أنتم من الفتن والإغراءات التي

أحاطت بيوسف عليه السلام فصبر و لم يعص الله ﷻ . سبحان الله لننظر إلى كراهية يوسف وغيره من عباد الله الصابرين لمعصية الله ﷻ

ولنعلم أنه مهما اشتدت الفتن وعظمت وأحاطت بالعبد فإن العبد المخلص لديه القدرة على النجاة من معصية الله تعالى وعدم الاستجابة لإغراء الشيطان فما أضعف كيد الشيطان ﴿ .... **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾

[النساء : ٧٦]

((اللهم ارزقنا الإخلاص لوجهك العظيم))

ثالثاً : الصبر على أقدار الله

اعلم يا عبد الله أن الصبر على أقدار الله ﷻ من شعب الإيمان ، الإيمان بالقدر خيره وشره وهذا من أعظم الدوافع التي تدفع بالإنسان إلى الصبر امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ .

[الحديد :٢٢- ٢٣]

وجاء تفسير ذلك في حديث رسول الله ﷺ : عَنْ عَبْد اللَّه ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : ((**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**))(١) .

وفي الآية الكريمة السابقة يوضح الله ﷻ لعباده أنه قد تم كتابة الأشياء قبل كونها وتقديرها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطئكم لم

(١) مسلم (٢٦٥٣) .

يكن ليصيبكم فلا تأسوا علي ما فاتكم و لم تنالوه لأنه لو قُدر شيء لكان ((**ولا تفرحوا بما أتاكم**)) أي لا تفرحوا بما أعطاكم الله والمقصود بالفرح هنا البطر والافتخار حيث ينسب الإنسان النعمة إلى نفسه وينسى **الله** ﷻ فلتعلموا أن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وإنما هو تقدير الله ورزقه لكم فلا تتخـــذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بها على عباد الله ولهـــذا قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ .

ولهذا نجد العقلاء من قوم قارون قالوا له كما قال تعالى : ﴿ ... **لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ [القصص : ٧٦]

فالفرح المنهي عنه الذي يصاحبه الافتخار والبطر ونسيان **الله** ﷻ ، فليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً ، ولهذا وضحوا له في الآية التي بعدها كيف يقابل نعمة **الله** ﷻ ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص : ٧٧] فكيف كان الرد من قارون ؟ نسب النعمة إلى نفسه ونسي المنعم الذي أنعم عليه :﴿ **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [القصص : ٧٨]

فهذه هي حالة الجاحدين المنكرين لنعمة **الله** ﷻ ونهايتهم الشقاء الأبدي كما حـــدث لقارون فخسف الله به وبداره الأرض كما في قـــوله تعالى : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَـــهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**

وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٨١]

فهذه هي نهاية عدم الشكر والكبر والفرح المذموم كما قال تعالى : ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ** ﴾ [القصص : ٥٨]

وإليك هذا الرجل الذي خرج يمشي تعجبه نفسه بطرا وكبرا يتباها بثوبه وشعره ماذا فعل الله به !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ : ((**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))[1] .

أفضل أنواع الصبر

ذكرنا فيما سبق أن الصبر ثلاثة أقسام : صبر على طاعة الله ، وصبر عن معصية الله ، وصبر على قدر الله . وأفضل أنواع الصبر هو الصبر على طاعة الله وعن معصية الله ، لماذا !! لأن الصبر على الأقدار المؤلمة صبر اضطراري فلا دخل للإنسان فيما حدث بخلاف الصبر على الطاعة وعن المعصية فإنه صبر اختياري ، ولهذا فضل يوسف عليه السلام بقاءه في السجن حيث سيكون فيه صبر اضطراري بخلاف صبره على مراودة امرأة العزيز له و هذا كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف : ٣٣]

(١) البخاري (٥٧٨٩) ، مسلم (٢٠٨٨) .

الجزع عكس الصبر

اعلم يا عبد الله أن عكس الصبر الجزع كما جاء واضحا في قـــوله تعالى عن حال أهل النار وعن قولهم يوم القيامة : ﴿ **وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢١]

أي أنهم يقولون ليس لنا خلاص من العذاب سواء صبرنا أم لم نصبر فليس هناك ملجأ نلجأ إليه ولا مهرب لنا من عذاب الله وذُكر[١] أن أهل النار قال بعضهم لبعض : إنما أدرك أهل الجنة ، الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله ﷻ ، تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا : إنما أدرك أهل الجنة ، الجنة بالصبر ، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم يري مثله ، فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ** ﴾ [إبراهيم : ٢١]

فالصبر في الدنيا عاقبته خير ومن جزع وسخط فما له إلا السخط .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : ((**عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**))[٢] .

---

(١) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما ذكر ابن كثير في تفسير الآية .

(٢) حسن : الترمذي (٢٣٩٦) ، ابن ماجة (٤٠٣١) ذكره الألباني في الصحيحة (١٤٦).

الصبر صفه من صفات الله ﷻ

الصبر صفه عظيمة من تحلى بها نال من الإيمان الرأس ومن الإحسان القلب وكفى أنها صفه من صفات **الله** ﷻ : عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**))(١) .

إن صبر **الله** ﷻ على عباده لا يماثله صبر لأنه تعالى ليس كمثله شئ **فالله** ﷻ مالك الملك المتصرف فيه بحكمته وقدرته ومع ذلك يصبر على عباده ولا يعاجلهم بالعقوبة وهذا من رحمته تعالى وعفوه وحلمه مع تمام قدرته لأن الدنيا عند الله لا تساوي شيء كما اخبرنا ﷺ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**))(٢) .

فإنهم يعصون **الله** ﷻ ويشركون به فيدعون أنه تعالى اتخذ ولدا فإنها دعوى عظيمة وفرية قبيحة لم تتحملها السموات والأرض والجبال مع صلابتها وقوتها كما قال **الله** ﷻ في قوله : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ۝ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً** ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩١]

ومع هذا يعافيهم **الله** ﷻ ويرزقهم ويصبر عليهم وهذا كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ**

---

(١) مسلم (٢٨٠٤) .

(٢) صحيح : الترمذي (٢٣٢٠) ، ابن ماجة (٤١١٠) .

أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ [فاطر : ٤١] ففي الآية السابقة يوضح الله ﷻ كمال قدرته وتمام رحمته وسعة حلمه ومغفرته وأنه تعالى يمسك السموات والأرض عن الزوال ، فإنها لو زالتا ما أمسكها أحد من الخلق ولعجزت قدرتهم وقواهم عنها ولكنه تعالى قضى أن يكونا كما وجدا ليحصل للخلق القرار والنفع والاعتبار وليعلموا كمال حلمه ومغفرته بإمهال المذنبين وعدم معاجلته للعاصين مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم ولو أذن للأرض لابتلعتهم ولكن وسعتهم مغفرته ورحمته وحلمه وكرمه إنه كان ((حليما)) : في تأخير عقاب الكفار ، ((غفوراً)) : لمن تاب .

ولكن لنعلم جميعاً أن الله لو يؤاخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ونعلم ذلك إذا تدبرنا قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً** ﴾ [فاطر : ٤٥]

سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك

أهمية الصبر

لما كانت عبادة الله ﷻ وإقامة شرعه في الأرض لا تتحقق إلا بالصبر الجميل فقد أمر الله ﷻ أفضل الخلق رسولنا ﷺ بالصبر تأسياً بالرسل السابقين فقال تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [الأحقاف : ٣٥]

والمشهور أن أولى العزم من الرسل هم ((نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ)) ، وذكرهم الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ** ﴾ [الشورى : ١٣]

ففي الآية السابقة يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل حيث أنهم لاقوا عناءً وتعنتاً من قومهم فصبروا عليهم واستمروا في دعوتهم وصبروا على إقامة دين الله ﷻ وشرعه في الأرض وقد امتثل النبي ﷺ لأمر ربه فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله وجاهد أعداء الله صابراً على ما يناله من الأذى حتى مكن الله له في الأرض وأظهر دينه على سائر الأديان و ﷺ تسليماً كثيراً .

وقال الله ﷻ : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ** ﴾ [القلم : ٤٨]

أمره الله ﷻ بالصبر على حكم الله الشرعي والقدري حيث يقابل حكم الله الشرعي بالقبول والتسليم والانقياد لأمره ويقابل حكمه القدري بالصبر والشكر وعدم الجزع ؛ ولا تكن كصاحب الحوت (وهو يونس بن متى عليه السلام) : أي لا تشابهه في الحال التي أوصلته للانحباس في بطن الحوت وهو عدم صبره على قومه .

وقال تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً** ﴾ [الإنسان : ٢٤]

ويرغب الله ﷻ في الصبر والحصول على ثوابه فقال الله ﷻ : ﴿ **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [هـود : ١١٥]

فجعل الله الصبر من صفات المحسنين وبشرهم بأن الله يتقبل عنهم أحسن ما كانوا يعملون .

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالصبر على الوحي كله :-

فقال تعالى : ﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [يونس : ١٠٩]

فالخطاب وإن كان موجهاً للرسول ﷺ فلنا فيه الأسوة الحسنة كما قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب : ٢١]

فيأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يتبع ما يوحى إليه علماً وعملاً وحالاً ودعوة إليه « واصبر » على ذلك وداوم واثبت عليه حتى يحكم الله بينك وبين من كذبك فإن الله هو خير الحاكمين حيث أن حكمه مشتمل على العدل التام والحكمة الكاملة الذي يحمد عليه .

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالصبر على العبادات :-

فقال تعالى : ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾ [مريم : ٦٥]

أي أن الله خالق السموات والأرض على أحسن نظام وأكمله وليس في خلقه غفلة أو إهمال ، وهو المتصرف فيهما كيفما شاء وبما يليق بحكمته تعالى وربوبيته التي تستوجب عبادته وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى : ﴿ **فَاعْبُدْهُ**

وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِه ﴾ : نعم فإن العبادة تحتاج إلى الصبر لأنه قد يجد الإنسان في نفسه مشقة أو كسل عند القيام بالعبادات فعليه أن يصبر ويجاهد نفسه ويُكرهها على القيام بعبادة الله حق عبادته . والانشغال بعبادة الله والصبر عليها يُنسي الإنسان كل مشاغل الدنيا وهمومها .

((**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**)) : إنه استفهام للنفي فإنه لا مشابه ولا مماثل لله ﷻ من المخلوقين فله تعالى الكمال المطلق من جميع الوجوه ولهذا هو وحده المستحق لإفراده بالعبادة والاصطبار عليها .

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالصبر علي الصلاة :-

فإن كان الله ﷻ أمر بالصبر على العبادات كلها فقد أمر بالصبر على الصلاة خاصة حيث أنها من أجل العبادات وأقرب الطاعات ولمشقة حبس النفس فيها في أزمنة محددة وفي صورة معينة فقال تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾

[طـه : ١٣٢]

فأمر الله ﷻ بالصبر على الصلاة بإقامتها بحدودها وأركانها وخشوعها ومجاهدة النفس والشيطان على ذلك ، فإنه من حافظ على صلاته على الوجه المأمور به كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم ، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع . وفيها أمر من الله ﷻ بأمر الأهل بالصلاة ومن هو قائم عليهم كما قال الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦]

ووعد الله ﷻ بأنه ضمن لرسوله ﷺ الرزق وأنه لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه فقال لا نسألك رزقاً نحن نرزقك وهذا عام للخلائق كلهم فكيف بمن قام بأمر الله وعبادته واشتغل بذكر الله . فإن رزق الله عام للمتقي وغيره ولا ينافي ذلك السعي في الأرض والأخذ بأسباب هذا الرزق ولكن في الحدود التي لا تشغل العبد عن إقامة دين الله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ [الطلاق : ٢ - ٣]

ولهذا قال تعالى : ﴿ **والعاقبة للتقوى** ﴾ أي حسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله بفعل المأمور وترك المنهي .

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ مصاحبة أهل الصلاح :

فقال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [الكهف : ٢٨] ففي الآية الكريمة أمر من الله ﷻ لرسوله ﷺ بالصبر على صحبة الأخيار أهل الصلاح والتقوى ومجاهدة النفس على صحبتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم والبعد عن أهل المعاصي خيراً كثيراً .

أمر الله ﷻ رسوله بالصبر على أقوال المكذبين :

﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۞ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص : ١٦ - ١٧]

فيذكر الله ﷻ تكذيب المشركين واستعجالهم للعـــذاب فيأمر الله ﷻ

رسوله ﷺ أن يصبر على أقوالهم كما صبر داود عليه السلام وقال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً** ﴾ [المزمل : ١٠]

وقد امتثل أفضل الخلق نبينا محمد ﷺ لأمر الله ﷻ فكان أكثر من جمع أنواع الصبر كلها فصبر و احتسب فلنا فيه الأسوة الحسنة . ((والله نسأل أن يجعلنا من الصابرين)) .

الصبر أوسع عطاء من عند الله

أعلم يا عبد الله أن أفضل عطاء من الله هو الصبر فهو أفضل من أي عطاء في الدنيا فبالصبر تكون نفسك هادئة مطمئنة مستريحة كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ في قوله : عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه إِنَّ نَاسًا مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّه ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ : ((**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**)) [1] .

وفي الحديث دلالة علي العمل أولاً ثم الاستعانة بالله ﷻ فالإنسان يبدأ أولاً يُصبر نفسه ويحتسب الأجر والثواب ويبذل قصارى جهده ليحمل نفسه على الصبر ويستعين بالله فيعينه الله ﷻ ويجعله من الصابرين . ولأهمية الصبر جعله الله ﷻ عوناً على جميع الأمور وأمر عباده بأن يستعينوا به على أمورهم فقال تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٥]

---

(١) البخاري (١٤٦٩) ، مسلم (١٠٥٣) .

شروط الصبر

اعلم يا عبد الله أن للصبر شروطاً ليجعلك الله في عداد الصابرين :

أولاً : **أن يكون خالصاً لوجه الله**

أي : ترجوا بصبرك ثواب الله وتخاف عقابه ، مثله في هذا كمثل جميع الأعمال حيث أنها لا يقبلها الله ﷻ إلا إذا كانت خالصة له تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد : ٢٢]

أي : صبروا على المأمورات بامتثالها وعن المنهيات بالإنكفاف عنها ، والبعد عنها ، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها لكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ((ابتغاء وجه ربهم)) لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه ، طلباً لمرضاة الله ورجاءً للقرب منه ونيل ثوابه فهذا هو الصبر الذي يتصف به أهل الإيمان وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر ، فهذا يصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر فليس هو الممدوح ولا المطلوب .

ثانياً : **أن يكون صبراً جميلاً**

فلنعلم أن الصبر الذي يرفع الله به الدرجات ويكفر به السيئات إنما هو الصبر الجميل الذي أمر الله به رسوله ﷺ ولنا فيه الأسوة الحسنه والإتباع بإحسان إلي يوم الدين كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً** ﴾ [المعارج : ٥]

وكما قال يعقوب عليه السلام لأخوة يوسف ﴿ **وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف : ١٨]

فالصبر الجميل هو الصبر الذي لا يكون معه تبرم ولا تسخط ولا شكوى لغير الله ولا ملل ولا اعتراض علي أمر الله ولا انقطاع عن طاعة الله ولكن الصبر الذي يصاحبه الإيمان بقدر الله والرضا به وأن يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه .

ثمرات الصبر

من حمل نفسه على الصبر جني ثمرات عظيمة :

أولاً : الصابرون هم الفائزون بالنعيم المقيم

من ثمرات الصبر الفوز بالنعيم المقيم :

قال تعالى عن المؤمنين الفائزين بالنعيم المقيم في الآخرة : ﴿ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١١١]

حيث أن الخطاب يوجهه الله سبحانه وتعالى لأهل النار عندما يستغيثون يوم القيامة بربهم ليخرجهم من النار ليعملوا صالحاً فيقول الله عز وجل لهم : ﴿ **قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٨]

فيأسوا من كل خير ثم يذكرهم الله بالحالة التي أوصلتهم إلى العذاب وقطعت عنهم الرحمة فقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا**

أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٩ - ١١١]

أي : أنه كان فريق من عباد الله يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح وطلب الرحمة والمغفرة فما كان من هؤلاء الكفار ناقصي العقول والأحلام إلا الاستهزاء بهم لدرجة أنهم انشغلوا بالاستهزاء بالمؤمنين عن ذكر **الله** ﷻ ونسيهم لذكر الله . جعل الشيطان يسيطر عليهم ويحثهم على مواصلة الاستهزاء بل والتمادي فيه فجزى الله أهل الإيمان خير الجزاء وهو الفوز بجنة **الله** ﷻ والفوز بالنعيم المقيم بسبب صبرهم على طاعة **الله** ﷻ ، وصبرهم على أذى الكافرين .

وكذلك بشرنا **الله** ﷻ بما يقال لأهل الجنة يوم القيامة ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد : ٢٤] فصبروا على أوامره تعالى وعن نواهي وعلى قدره فدخلوا الجنة بسلام .

ثانياً : الصابر يفوز بمعية الله ﷻ

من ثمرات الصبر الفوز بمعية الله تعالى فكفاك يا عبد الله إن صبرت أن يكون الله معك **فالله** ﷻ بشرنا بذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٣]

أي : أن **الله** ﷻ مع من كان الصبر له خلقاً وصفة فيكون معهم بتوفيقه ومعونته وتسديده . وبذلك يهون الله عليهم كل صعب ويُسهل عليهم كل شاق ، تهون عليهم المكارة والمصائب فكيف حالك يا عبد الله لو فزت بمعية **الله** ﷻ مالك الملك الذي كل شيء في الوجود خاضع له وحده ، أيجرؤ شيء أن يقف أمامك وأنت مع الله ؟؟؟

إنها ثمرة عظيمة من ثمرات الصبر ، فهذه المعية معية خاصة من الله تعالى لعباده الصابرين بخلاف المعية العامة وهي معية الله لجميع خلقه التي جاءت في قوله تعالى : ﴿ ... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤]

فهذه المعية هي معية العلم والقدرة حيث أنه من المعلوم بالضرورة أن الله ﷻ فوق السماء على العرش كما في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥]

ولنعلم أن العبد يصل لدرجة الصابرين ويفوز بمعية الله ﷻ ويوفيه الله أجره بغير حساب إذا قوى إيمانه وقهر شيطانه وشهواته وهواه واستقام على الطريق المستقيم وأصبح من الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠]

أما إذا غلب هواهُ صبرَه وشهوتُهُ عقله أصبح من إخوان الشياطين أعاذنا الله من ذلك .

ثالثاً : محبة الله للصابرين

هل تعلم يا عبد الله أن من ثمرات الصبر فوزك بحب الله ﷻ .. قد يتمنى العبد حب رئيسه! – حب الناس !. فكيف بحب الله ﷻ مالك الملك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء .. فكفاك أن تفوز بحب الله لك إن صبرت واحتسبت وقد بشرنا الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا

وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل : ١٤٦]

ثم ماذا بعد حب الله ﷻ ؟ الإجابة جاءت واضحة في هذا الحديث : عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبيِّ ﷺ قَالَ : ((**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**))[1] .

فانظر يا عبد الله إلى ثمرة الصبر العظيمة الفوز بحب الله ثم حب جبريل ثم حب أهل السماء ثم حب أهل الأرض !!!

اللهم ارزقنا حبك ، وحب من يحبك ، وحب ما يقربنا إلى حبك .

رابعاً : الصبر ضياء

الإنسان يتعرض في حياته لشدائد كثيرة فإذا اشتد كربه أظلمت أمامه الدنيا فإذا صبر واحتسب الأجر والثواب عند الله أُضيء له الطريق بصبره ودليل ذلك ما اخبرنا به رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى : عَنْ أَبي مَالِك الأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : ((**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّه تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّه وَالْحَمْدُ لِلَّه تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**))[2] .

والمعنى العام للحديث : أن الطهور نصف الإيمان وهو الطهارة الحسية والنصف الثاني هو الطهارة المعنوية كتوحيد الله والإخلاص وغير ذلك .

---

(١) البخاري (٣٢٠٩) ، مسلم (٢٦٣٧) .
(٢) مسلم (٢٢٣) .

والحمد لله تملأ الميزان : الرضا بقضاء الله وشرعه وأمره ونهيه والثناء على الله ﷻ بما يليق به .

ولهذا فالحمد لله تملأ الميزان .

وسبحان الله والحمد لله : التسبيح تنزيه الله عما لا يليق به في أسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وأمره ونهيه .

والصلاة نور : نور للعبد في دنياه وقبره وآخرته .

كما أخبرنا رسول الله ﷺ في قوله : عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا فَقَالَ : ((**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَة وَمَنْ لَمْ يُحَافظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَة مَعَ قَارُونَ وَفرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْن خَلَف**)) [1] .

والصدقة برهان : دلالة على إيمان العبد لأن المال دائماً محبوب إلى النفوس وإخراجه صعب إلا على أهل الإيمان .

والصبر ضياء : كالشمس يضيء لصاحبه طريقه .

كما قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلكَ إلاَّ بالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَات لقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يونس : ٥]

فإذا اشتدت عليك الظلمات بسبب بعض النكبات فاعلم يا عبد الله أن الصبر يخرجك منها ويضيء لك .

---

(١) حسن : أحمد (٦٥٤٠) .

والقرآن حجة لك أو عليك إن عملت بما فيه كان حجة لك يوم القيامة وإن هجرته وتركت العمل بما فيه كان حجة عليك وشاهداً عليك .

كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها :

كل الناس يبدأ يومه في الصباح فأهل الإيمان يقضون يومهم في طاعة الله فيعتقون أنفسهم من النار وأهل الكفر يقضون يومهم في معصية الله فيوبقون أنفسهم في النار .

خامساً : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين

قال الله ﷻ : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٤]

فيذكر الله ﷻ عن بني إسرائيل أنهم لما صبروا على طاعة الله وترك زواجره وتصديق رسله كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا سُلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالحاً ولا اعتقاداً صحيحاً .

سادساً : بشرى للصابرين

﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٥]

البشارة من من !! من الله ﷻ الذي بيده ملكوت السموات والأرض ، والتبشير بأي شيء !! بالأجر والثوب بغير حساب كما جاء في قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠]

فهذا عام في جميع أنواع الصبر : الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها ، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها ، والصبر على طاعته حتى يؤديها . فوعد الله الصابرين أن يوفيهم أجرهم بغير حساب ، أي بغير حد ولا عد ولا مقدار وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله وأنه معين على كل الأمور .

فالأعمال الصالحة يضاعف الله لها الثواب الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومنها الصبر فأجر صاحبه عند الله بغير حساب ، فلا يعلم قدره إلا الله .

سابعاً : الاستعانة بالصبر على مصالح الدنيا والآخرة

لما وضحنا سابقاً أن الله مع الصابرين يترتب علي ذلك أن الصبر من أقوى الوسائل التي يستعين بها العبد على أموره الدينية والدنيوية لأنه سيفوز بتوفيق الله ومعونته في كل شيء وجاء هذا في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]

فإذا أردت أن تفعل طاعة ووجدتها ثقيلة على نفسك فاصبر واحبس نفسك على هذه الطاعة وافعلها وإذا أردت أن تفعل معصية وزين لك الشيطان ونفسك فعلها فاصبر على عدم فعلها .

وكذلك إن أصابك أي مكروه في حياتك أو مشكلة فقابلها بالصبر والتوكل على الله واللجؤ إليه واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الضيق وأن مع العسر يسرا .

أذن الصبر محتاج إليه العبد ومضطر إليه في كل حال من الأحول وكذلك الصلاة فإنها تعين العبد على كل ما سبق ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

والصبر والصلاة متلازمان فلا يتم الصبر بلا صلاة ولا تتقن الصلاة إلا بالصبر – والصلاة هي الصلة بين العبد وربه فهي وقوف بين يدي الله ﷻ فيها الدعاء والمناجاة – فيها التذلل والخشوع لله ﷻ شأنه ، وهي التي تنهي عن الفحشاء والمنكر .

طرق تحصيل الصبر

أولاً : الاستعانة بالله تُعين على الصبر .

اعلم يا عبد الله أن ما تفعله من طاعات وما تتركه من معاصي لا يكون بحولك ولا قوتك ولكن بحول الله وقوته وبتوفيقه ولهذا فمن أهم الأشياء التي تعينك على الصبر الاستعانة بالله ﷻ وقال تعالى في ذلك : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ [النحل : ١٢٧]

فلا يمكن الصبر إلا بالله ﷻ والاستعانة به .

ولننظر إلي نصيحة موسى عليه السلام لقومه حيث قال لهم كما أخبرنا الله ﷻ : ﴿ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٢٨]

وكذلك المؤمنون من قوم موسى استعانوا بالله ﷻ وطلبوا منه تعالى إن يلهمهم الصبر كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٢٦]

وكذلك أهل الإيمان الذين استمروا مع طالوت قال الله عنهم : ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٠] وكذلك قال موسى للخضر ستجدني إنشاء الله صابراً ، فعلق الصبر بمشيئة **الله** ﷻ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً** ﴾ [الكهف : ٦٩]

ثانياً : كثرة العبادة تُعين على الصبر :

اعلم يا عبد الله أن كثرة ذكر الله وعبادته أكبر معين لك على الصبر وجاء هذا في قوله تعالى : ﴿ **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص : ١٧]

أمر **الله** ﷻ رسوله ﷺ بالصبر على قومه وآذاهم وأمره أن يستعين على الصبر بالعبادة لله وحده وأن يتذكر حال العابدين ومن أعظمهم نبي الله داود عليه السلام :

ذا الأيد : ذا القوة العظيمة علي عبادة الله تعالى في بدنه وقلبه .

إنه أوب : إي رجاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه وكثرة .

التضرع والدعاء - رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل ، بالإقلاع والتوبة النصوح .

ثالثاً : التسبيح يعين العبد على الصبر مع الرضا :

وأيضا قال **الله** ﷻ : ﴿ **فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى** ﴾ [طـه : ١٣٠]

فأمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالصبر على أذى قومه و أمره أن يستعين علي ذلك بالتسبيح بحمد ربه في الأوقات الفاضلة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأطراف النهار أي في أوله وآخره وأوقات الليل وساعاته فذلك يؤدي إلى اطمئنان القلب بعبادة الله وذكره والرضا بقضاء الله وثوابه العاجل والآجل .

رابعاً : **الاستغفار يُعين على الصبر :**

قال الله ﷻ : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ** ﴾ [غافر : ٥٥]

خامساً : **الإيمان باليوم الآخر يُعين على الصبر :**

وهكذا الإيمان بالرجوع إلى الله ﷻ ونيل الأجر والثواب يخفف علي الإنسان مصائب الدنيا الزائلة لأن المؤمن يستقبل المصيبة واثقاً أنها على قدر إيلامها يكون الثواب عليها .

ولنا عبرة في السحرة من قوم فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام على ملأ من الناس وأعلنوا إيمانهم وسجدوا الله ﷻ ، في هذا الوقت عجز فرعون عن مقابلة الحجة والآية التي كانت سبب إيمانهم بمثلها فلجأ إلى قوته الزائلة المؤقتة فهدد وتوعد كما أخبر الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٢٣ - ١٢٤] فكيف كان الرد منهم ؟ كان الرد سريعاً فقالوا : ﴿ **قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٢٥] تذكروا النهاية وذكروه بها .

وفي سورة الشعراء : قال الله ﷻ عنهم : ﴿ قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٥٠ - ٥١]

وفي سورة طه أخبرنا الله ﷻ عنهم : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طـه : ٧٢]

سبحان الله ! تيقنوا من أن ما يصيبهم سوف يصيبهم في الدنيا فقط وهي زائلة ولكن هناك الآخرة دار الخلد والنعيم لمن صبر واحتسب . فانتظروها وعملوا لها ففي هذا عبرة لمن يعتبر، فاعلم يا عبد الله أن قصص السابقين في القرآن الكريم لم يذكرها الله ﷻ للتسلية ولكنها للعبرة والاتعاظ كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١]

فهؤلاء تيقنوا من وعد الله لهم بحسن الأجر والثواب كما أخبرهم به في قوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ۞ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [طه : ٤٧ - ٤٨]

وفعلاً في النهاية تحقق وعد الله ﷻ فأخذ فرعون و قومه أخذ عزيز مقتدر ، هذا في الدنيا ، ثم بعد ذلك في قبورهم ، النار يعرضون عليها غدواً

وعشيا ، ثم في الآخرة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، و فرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار . نجانا الله منها .

حقيقة الابتلاء

لنعلم جميعاً أن الابتلاء حقيقة لابد منها في الحياة الدنيا بل هي الحكمة من إيجاد الخلق فقال تعالى : ﴿ **الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾ [الملك : ٢]

ومعنى الابتلاء : الاختبار .

وقد أخبرنا **الله** ﷻ بضرورة وقوع هذا الابتلاء في مواضع كثيرة في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقال تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

سبحان الله العلي العظيم يالها من نعمة عظيمة من **الله** ﷻ فقد أخبرنا بضرورة وقوع هذا الابتلاء فإذا وقع لنا مثل هذا فيجب أن نزداد إيماناً و يقيناً ونقول هذا ما وعدنا الله ورسوله فيسهل علينا تلقي هذا الابتلاء ونؤمن أن العلاج الأمثل لهذا الابتلاء هو ما أخبرنا **الله** ﷻ به وهو الصبر والاحتساب والشكر . فإذا أخبرنا الله بضرورة وقوع الابتلاء فيجب على الإنسان أن يتوقعه ويوطن نفسه عليه ، ونتذكر أيضاً قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ١٧٩]

أي : ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التميز ولكن اقتضت حكمته أن يبتلي عباده بما يميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ، ليترتب على ذلك الثواب والعقاب وليظهر عدله و فضله .

وقال رسول الله ﷺ في ضرورة الابتلاء .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**مَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**))[1] .

أنواع الابتلاء :

أولاً : الابتلاء بالخير .

ثانياً : الابتلاء بالشر .

وهذا ما يجهله كثير من الناس لعدم تدبرهم آيات الله ﷻ فكثير منهم يعتقد أن الابتلاء إنما يكون بالشر فقط وما يكره الإنسان ، ولكن حقيقة الابتلاء أنه قد يكون بالخير وقد يكون بالشر كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾

[الأنبياء : ٣٥]

فإن الله ﷻ أوجد عباده في الدنيا وأمرهم ونهاهم وابتلاهم بالخير والشر وبالغنى والفقر والعز والذل ليبلوهم أيهم أحسن عملا . والعبرة في ذلك كله ليس بنوع الابتلاء ولكن العبرة بنتيجة الابتلاء والنتيجة المحمودة جاءت في حديث الرسول ﷺ عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**عَجَبًا لأَمْرِ**

---

(١) حسن : الترمذي (٢٣٩٩) حسنه الألباني في الصحيحة برقم (٢٢٨٠).

الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) (١) .

فهذا هو المطلوب في حالة السراء الشكر وفي حالة الضراء الصبر ولهذا يتعجب الرسول ﷺ من أمر المؤمن ويوضح أن ما يتعرض له المؤمن من سراء أو ضراء فكله خير والخير المقصود هو الرضا عن الله والنعيم الدائم في الدنيا والآخرة والسبب الذي يوصله لذلك هو أنه إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر وهذا لا يكون إلا للعبد المؤمن .

وسنوضح بمشيئة الله الحالتين بشيء من التفصيل .

أولاً : الشكر في حالة السراء

ما يلاقيه الإنسان من نعم وما يقابله من سراء كله ابتلاء من الله ﷻ يجب أن يقابلها العبد بالشكر وإليك مثال الشكر على ذلك :

سليمان ؑ عندما سخر الله له من يأتيه بعرش بلقيس ملكة سبأ فوجده مستقراً عنده ماذا قال سليمان !!

قال تعالى : ﴿ **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل : ٤٠]

إذن النعمة سماها ابتلاء وجعل الحكمة منها الاختبار : هل سيشكر أم يكفر و يجحد نعمة الله أم يحمد .

---

(١) مسلم (٢٩٩٩) .

والشكر عبادة تتمثل في طاعة الله ﷻ قولا و فعلاً :

قولاً : بأن لا يُنكر نعمة الله ولكن يحمد الله عليها ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى : ١١]

وفعلاً : بأن لا ينسى الله ﷻ الذي أنعم عليه فيطيعه ويقـــوم بعبادته ويستغل هذه النعمة في طاعة الله ﷻ ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [النحل : ٧٨]

وماذا بعد الشكر !!

إنما الزيادة في النعم من الله ﷻ وحسن الجزاء في الآخرة كما بشرنا الله ﷻ بقوله : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم : ٧] وقال الله ﷻ : ﴿ ... وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

ونعم الله ﷻ لا تعد و لا تحصى : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النحل : ١٨]

فالعبد يتقلب في نعم الله ﷻ ليلاً و نهاراً فكيف إن شكر الله ؟ يزيده الله ﷻ نعماً فيكون العبد المؤمن دائما في شكر و دائما في زيادة من النعم .

وقد مدح الله ﷻ إبراهيم عليه السلام بهذه الصفة « الشكر » فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [النحل : ١٢١]

اللهم اجعلنا من الشاكرين .

وعكس الشكر الجحود والكفر فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨]

والشيطان دائماً يتربص لعباد الله ليمنعهم من الشكر ويزين لهم الجحود كما أخبرنا الله ﷻ في قوله :- ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧]

مثال على عدم الشكر

ما جاء في قوله تعالى عن المنافقين وصفاتهم :- ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة : ٧٥ - ٧٧]

فيذكر الله ﷻ بعض أحوال المنافقين فمنهم من عاهد الله لئن بسطت الدنيا ووسعت عليهم ليصدقن وليكونن من الصالحين فلما أعطاهم الله ووسع عليهم لم يفوا بما قالوا ولكن بخلوا بأموالهم وتولوا عن الطاعة والانقياد لأمر الله وأعرضوا غير ملتفتين إلي الخير فعاقبهم الله بالنفاق الذي غطى على قلوبهم أعاذنا الله من ذلك .

ثانياً : الصبر في حالة الضراء

يجب على الإنسان الصبر وعدم السخط وعدم الجزع والرضا بقدر الله ﷻ في حالة الضراء وليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وقد أخبرنا الله ﷻ بضرورة تعرض العبد للإبتلاءات المختلفة فقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ

الصَّابِرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥] فيوضح الله ﷻ أنه لابد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصادق من الكاذب والصابر من الجازع والابتلاء يكون بشيء من الخوف وهو عدم الأمن أو الجوع وهو عدم وجود ما يشبع الإنسان أو داء يصيب الإنسان، يأكل ولا يشبع .

((أو نقص من الأموال)) : أي قلة الأموال بأي طريقة من الطرق إما بقلة الرزق بداية أو الخسارة في التجارة أو السرقة أو غير ذلك .

((والأنفس)) : ذهاب الأحباب من الأولاد أو الأزواج أو الأقارب أو غيرهم وكذلك الإصابة بالأمراض .

((والثمرات)) : نقص في إنتاج الزرع المختلفة .

وما يدل على ضرورة تعرض العبد للإبتلاءات المختلفة قوله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤]

فيوضح الله ﷻ أنه لابد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة، كما فعل بمن قبلهم فهي سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير فمن قام بدينه وشرعه لا بد أن يبتليه الله فإن صبر علي أمر الله ولم يبال بالمكاره الواقعة في سبيله فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها ، ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله بأن صدته المكاره عن دين الله فهو الكاذب في دعوى الإيمان ، فليس الإيمان بالتحلي والتمني ومجرد الدعاوى حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه .

فالأمم الماضية مستهم ((**البأساء والضراء**)) الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب ((**وزلزلوا**)) خوفاً من الأعداء زلزالاً شديداً وامتحنوا امتحاناً عظيماً كما جاء في الحديث عَنْ خَبَّابَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ ، فَقَالَ : ((**لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ زَادَ بَيَانٌ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ**))(١)

ولهذا يجيب الله ﷻ عن تساؤلهم متى نصر الله !!!

فيقول تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾

فهم استبطئوا نصر الله ولكن يبشرهم الله ﷻ أنه قريب وكل ما هو قريب فهو آت فإن مع العسر يسرا وإن الفرج عند الشدة وكلما ضاق الأمر اتسع .

إن الصبر على دين الله وعلى الأذى في سبيل الله يرفع الله به الدرجات ويكفر به عن السيئات ولننظر إلى أفضل الخلق رسولنا ﷺ وما لاقى في سبيل الله والدعوة إلى دينه والجهاد في سبيله فقد كان مثلاً رائعاً في الصبر والاحتساب فها هو في غزوة من الغزوات يصاب بجرح غائر في إصبعه فينظر إليه ويقول كما روي :- عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ وَقَدْ دَمِيَتْ إِصْبَعُهُ فَقَالَ : ((**هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي**

(١) البخاري (٣٨٥٢ ، ٦٩٤٣) .

سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيت »[1].

ومن الرسل السابقين ننظر إلي نوح عليه السلام وما لاقى من عناء من قومه حيث أنه استمر يدعوا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً سراً وعلانية وما يزيدهم ذلك إلا نفوراً فيستعين نوح عليه السلام بالله **الله** عز وجل : ﴿ **فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ** ﴾ [القمر : ١٠]

وهكذا الرسل والأنبياء والصالحون لاقوا عناء وشدة وصعابا كثيرة فصبروا واحتسبوا لينالوا من **الله** عز وجل أجرهم بغير حساب .

اختلاف الناس في تحمل الابتلاء بالضراء

عند الابتلاء بالضراء ينقسم الناس إلى طرائق :

جازع – صابر – راضي – شاكر .

وسنوضح المقصود من كل منها :

الجازع :

هو الذي يتسخط على قدر الله إما بقلبه أو بجوارحه قولاً أو فعلاً فيشق الجيوب ويلطم الخدود أو غير ذلك ويرى أن ذلك الذي أصابه ظلماً له وأنه لا يستحق ذلك فيقابل قدر الله بمعصية الله ، فهذا حصلت له مصيبتان المصيبة التي حدثت له في الدنيا والمصيبة الكبرى هي أنه حرم نفسه الأجر والثواب بل حل عليه غضب الرب لأنه لم يمتثل أمر الله بالصبر .

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ** »[1].

(١) **البخاري** (٢٨٠٢) ، **مسلم** (١٧٩٦) .

والجزع لا يغير من قدر الله :

ولتعلم يا عبد الله أن عدم الصبر ليس فيه أدنى فائدة بل إنه وبالاً ونقمة على صاحبه ، ومثل هؤلاء قال الله ﷻ فيهم : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ [الحج : ١١]

والمعنى المجمل للآية : أن من الناس من هو ضعيف الإيمان لم يدخل الإيمان في قلبه يعبد الله على غير طمأنينة إن أصابه خير واستمر رزقه رغداً ولم يحصل له من المكارة اطمأن ، وإن أصابته فتنة من حصول شدة أو مكروه أنقلب وارتد عن دينه فهذا خسر الدنيا لأنه لن يحصل له بردته وانقلابه على وجهه إلا ما كُتب له فلن يتغير قدر الله بتسخطه وغضبه فخاب سعيه ولم يحصل له إلا ما قسم الله له ، وخسر الآخرة لأنه حرم الجنة التي عرضها السموات والأرض واستحق النار ولهذا قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ الخسران الواضح ولهذا لما شق على النبي ﷺ تكذيب قومه له وإعراضهم عن دين الله وكان شديد الحرص على دخولهم في الإسلام قال الله ﷻ ناصحاً للنبي ﷺ : ﴿ **وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأنعام : ٣٥]

أي : إن كان شق عليك إعراضهم وعدم إيمانهم فمهما بذلت في ذلك فإنك لن تهد من لم يُرد الله هدايته وإن فعلت ما فعلت .

---

(١) البخاري (١٢٩٤) مسلم ، (١٠٣) .

الصابر

فهو الذي يصبر ويحتسب الأجر والثواب عند الله فتصبح المصيبة في حقه نعمة لأنه فاز بالثواب العظيم الذي بشر به الله في قوله : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥]

والمبشر به في قوله تعالى : ﴿ ... **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر : ١٠]

وصف الصابرين

جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥ - ١٥٦]

فالمصيبة كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما .

فالصابرون إذا أصابتهم مصيبة قالوا : ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾

« **إِنَّا لِلَّهِ** » أي : مملوكون لله ﷻ مدبرون تحت أمره وتصريفه فليس لنا من أنفسنا شيء فلا اعتراض على الله ﷻ .

« **وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** » : راجعون إليه يوم الميعاد ليجازي الله كل عامل بعمله فمن صبر وشكر وجد أجره موفوراً عند الله ، ومن جزع وسخط فإنه لم ينل الأجر والثواب ونال العقاب والعذاب - فكان يقينهم وإيمانهم بالله واليوم الآخر أكبر معين على الصبر وقد أثنى الله على الصابرين في قوله تعالى :

﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾
[سورة البقرة : ١٥٧]

أي : يثني الله ﷻ عليهم ويرحمهم ويصفهم بأنهم هم المهتدون حقاً الذين عرفوا طريق الحق فاتبعوه وصبروا .

الأقوال المأثورة عند المصيبة

وضح الله ﷻ في وصف الصابرين في الآية السابقة أنهم يقولون عند وقوع المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ولهذا يستحب للعبد أن يقول هذا القول ، وأيضاً يُسن أن يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها ، كما جاء في حديث أم سلمة – رضي الله عنها – عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ : مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا** » قَالَتْ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ : أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْت هَاجَرَ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَتْ أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ حَاطبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ : إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ ، فَقَالَ : « **أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَة** »[١]

ومن الأقوال المأثورة : عَنْ عَائشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحبُّ قَالَ : « **الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي بِنِعْمَته تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَإِذَا رَأَى مَا**

(١) مسلم (٩١٨) .

يَكْرَهُ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ))[1].

الراضي :

هو الذي يرضى بقدر الله وكأنه لم يُصب بشيء .

الشاكر :

وهو الذي يقابل قدر الله بالرضى والشكر والحمد وهو أفضل الأقسام السابقة (الجازع - الصابر - الراضي) .

والرسول ﷺ كان إذا رأى ما يكره قال : ((**الحمد لله على كل حال**)) كما سبق توضحيه .

لماذا ؟ لأن حلاوة الأجر والثواب والسعادة الأبدية تُنسي الإنسان مرارة الحزن والألم . ((اللهم اجعلنا من الشاكرين))

واليك هذا المثال على شكر الشاكرين

عروة بن الزبير رضي الله عنه يُصاب في رجله بالأَكْلَة - المرض المسمى بالغرغرنيا - فكان لابد من قطعها فقطعت وفي نفس اليوم مات ابنه فماذا قال ؟ قال : اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ستة وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد أبقيت[2].

---

(١) ابن ماجة (٣٨٠٣) . الحاكم (٤٩٩/١) وفيه الوليد بن مسلم يدلس ويسوي وزهير بن محمد تكلم فيه ورواية الشاميون عنه غير مستقيمة وهـذا منها وذكره الألباني في الصحيحة (٢٦٥) والكلم الطيب (١٣٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (جـ٤ - ص ٤٣٠) باختصار .

هذا هو الشكر هذا هو الحمد هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر فأين نحن من أمثال هؤلاء !!

قصة توضح الحكمة من الابتلاء

قد يقلب الله على العبد الخير والشر ليبلوه فيما أتاه من خير أو شر ويستخلص من عباده الشكر وعبادة الصبر وإليك هذه القصة :-

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لله ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الأَبْرَصَ وَالأَقْرَعَ قَالَ : أَحَدُهُمَا الإِبِلُ ، وَقَالَ الآخَرُ الْبَقَرُ ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ[1] ، فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا ، وَأَتَى الأَقْرَعَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ ، قَالَ : فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَاملاً ، وَقَالَ : يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا ، وَأَتَى الأَعْمَى ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ، قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ**

---

(١) ناقة عشراء : حامل .

فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلاَ بَلاَغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ ، فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلاَ بَلاَغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي ، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ »[1].

وانقطعت بي الحبال : الأسباب التي توصله لأهله انقطعت به ، إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر : أي أنكر نعمة الله ونسبها إلى نفسه وأجداده كما فعل قارون وقال : « **إنما أوتيته على علم** »

فو الله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته : لا أمنعك ولا أشق عليك بالمنع بشيء أخذته لله ﷻ .

(١) البخاري (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤) .

ما أصابك من سيئة فمن نفسك

تدبر يا عبد الله قول الله ﷻ : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠]

فاعلم أن ما يصيبك من نصب وغم وكرب وهم فبما كسبت يداك ويعفو الله عن كثير .

وإليك قوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾ [النساء : ٧٩]

فما أصابك من حسنة « في الدنيا أو الدين » فمن الله وحده فهو تعالى مالك الملك منّ عليك بها ويسرها لك .

وما أصابك من سيئة « في الدنيا والدين » فبذنوبك وكسبك ولا يظلم ربك أحدا فالمعاصي تحرمك من فضل الله ونعمته ، ألم تتدبر قول الله ﷻ : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [الأعراف : ٩٦]

فيذكر الله ﷻ أن أهل القرى الذين ابتلاهم الله ﷻ بالضراء لينذرهم وليتعظوا – لو أنهم آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم واتقوا الله بترك المحرمات وفعل الطاعات لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ولكن لم يتحقق منهم ذلك فأخذهم الله بالعقوبات والبلايا ونزع البركات وكثرة الآفات جزاءً لأعمالهم .

ولهذا نجد نوح عليه السلام ينادي قومه ويدعوهم إلي التوبة والرجوع إلي الله ويبشرهم بسعة الرزق والخير العاجل في الدنيا إن تحقق منهم ذلك ، فتحيا البلاد وتكثر الأموال والأولاد وتتحقق كل لذات الدنيا ومطالبها كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً** ﴾ [نوح : ١٠- ١٢]

واعلم يا عبد الله أن ما يحدث من فساد في الكون فبفعل الناس وذنوبهم وخروجهم عن طاعة الله وحكمه الشرعي كما أخبرنا الله عز وجل بهذه الحقيقة في قوله : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الروم : ٤١]

فهذا الذي ظهر لنا الآن من نقص البركات وانتشار الأمراض كلها بسبب معاصي الناس وذنوبهم – و لهذا كان هذا الذي يظهر لحكمة من الله الله عز وجل ﴿ **لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ...** ﴾ ولنتدبر قوله تعالى : ﴿ **بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا** ﴾ فكيف لو يؤاخذ الله الناس بجميع أعمالهم ؟؟!

جاءت الإجابة واضحة في ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل : ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [النحل : ٦١]

قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً** ﴾ [فاطر : ٤٥]

قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ [الكهف : ٥٨]

إذن لو يؤاخذ الله الناس بجميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولعجل لهم العذاب .

وإليك هذا المثال العظيم

ما حدث يوم أحد للمسلمين حيث قتل منهم سبعون رجلاً فيقول الله ﷻ : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥]

فحينما حدث ما حدث في غزوة أحد تساءل المسلمون من أين لنا هذا الخذلان فيجيب الله ﷻ : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥]

أي : حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون فعودوا على أنفسكم باللوم واحذروا من الأسباب المردية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

فإياكم وسوء الظن بالله فإنه قادر على نصركم ولكن له الحكمة البالغة في ابتلائكم ومصيبتكم .. وهي الرجوع إلى الله ﷻ .

الأخذ بالبأساء والضراء له حكمة وفائدة

إن الأخذ بالبأساء والضراء له حكمة عظيمة من الله ﷻ كما جاء في آيات كثيرة كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٢]

فالحكمة هي اتعاظ العباد ورجوعهم إلى الله وتوبتهم والتمسك بحبل الله

المتين لأنهم يؤمنون بأن ما أصابهم من مصيبة بما كسبت أيديهم أي : بفعلهم ، وبذنوبهم ، بمعاصيهم فلا يكون منهم إلا الاتعاظ والاعتبار .

مثال على ذلك

موسى عليه السلام عندما رجع إلى قومه وجدهم عبدوا العجل وأشركوا بالله ﷻ رجع إلى نفسه فقال : ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٥١]

فطلب من الله العفو والمغفرة والرحمة .

ولكن أهل الكفر والضلال قلوبهم قاسية لا يتعظون ولا يعتبرون كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام : ٤٣]

نعم قد يكون الدعاء منهم والتضرع وقت الشدة ثم بعد ذلك لا يكون منهم إلا البطر والكفر والجحود كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٥]

ومثال على ذلك أيضا قوم فرعون لما اشتد عليهم العذاب من الله ﷻ علموا أن ذلك بسبب كفرهم فطلبوا من موسى عليه السلام أن يدع الله ﷻ أن يكشف عنهم العذاب وجعلوه شرطاً لإيمانهم بموسى عليه السلام كما أخبرنا الله ﷻ في قوله : ﴿ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [الأعراف : ١٣٤]

ولكن ماذا كان منهم بعد أن كشف الله عنهم العذاب !!

نقضوا عهدهم وميثاقهم وهذه هي طبيعة أهل الكفر والضلال كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٣٥]

فلم يكن بعد ذلك إلا أن أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فإنه تعالى يمهل ولا يهمل .

أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣١]

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً ؟ قَالَ : « **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** » قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأُخْتِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : « **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ** »[١].

إذن يتضح أن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم لماذا !!! لينالوا أعلي درجات الصبر .

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٢٣٩٨) ، ابن ماجة (٤٠٢٣) ، أحمد (١٤٨٤) ، الدارمي (٢٧٨٣).

لأن ما يصيب الإنسان من بأساء وضراء يكون كفارة لذنوبه إن هو صبر وأحتسب كما جاء في الحديث أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : قَالَ : رَسُولُ اللَّه ﷺ : ((**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**))[1].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ[2] وَلاَ وَصَبٍ[3] وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**))[4].

إذن يتضح من الحديث أن كل ما يصيب المؤمن من المكارة كلها جعلها الله ﷻ تكفيرا للذنوب فإن صبر وأحتسب كان سبباً لرفع درجاته .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : ((**مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**))[5].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ بَلَغَتْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : ((**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أَوْ الشَّوْكَةِ**))[6].

---

(١) **البخاري** (٥٦٤٠) ، **مسلم** (٢٥٧٢) .

(٢) النصب : التعب بأنواعه .

(٣) الوصب : المرض .

(٤) **البخاري** (٥٦٤٢) ، **مسلم** (٢٥٧٣) .

(٥) **حسن** : الترمذي (٢٣٩٩) ، وقال حسن صحيح وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٠) .

(٦) **مسلم** (٢٥٧٤) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**))(١).

أي : من يرد الله به خيراً من أهل الإيمان والصبر يصيبهم الله بمصائب كثيرة فيصبرون ويحتسبون فيؤجرون علي صبرهم ويوفيهم الله أجرهم بغير حساب .

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))(٢).

لاشك أن كل ابن آدم خطاء والعقوبات الدنيوية تكون كفارة للسيئات فإذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا بأنواع الإبتلاءات المختلفة أما إذا أراد الله بعبده شراً أمهله واستدرجه وزاده نعيماً ليزداد إثماً ويستحق عقاباً يوم القيامة وكلما زاد البلاء عظم الجزاء وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي ينال رضا الله والعكس .

ولهذا ينهي الرسول ﷺ عن تمني الموت عند البأساء والضراء لأنه قد يكون خيراً له ليكفر الله عنه سيئاته ويرفعه في الدرجات ولو تعجل الموت ربما انتقل بعد موته إلى العذاب الأليم في قبره غدواً وعشياً ثم في الآخرة ينال العذاب الأليم .

---

(١) البخاري (٥٦٤٥) .

(٢) حسن:رواه الترمذي وقال حسن (٢٣٩٦) وابن ماجة (٤٠٣١) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٦ ، ١٢٢) .

فقال رسول الله ﷺ عَنْ أَنَس بْن مَالك ﷺ قَالَ : قالَ النَّبيُّ ﷺ : ((**لاَ يَتمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ منْ ضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعلاً فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِني مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**))[1].

وكان ﷺ يوعك كما يوعك الرجلان من الناس كما روي عن ابن مسعود ﷺ ، عَنْ عَبْد اللَّه قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَديدًا ، قَالَ : ((**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ**[2] **رَجُلاَن منْكُمْ**)) قُلْتُ : ذَلكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ قَالَ : ((**أَجَلْ ذَلكَ كَذَلكَ مَا منْ مُسْلمٍ يُصيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاته كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**))[3].

وقوله : ((**أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم**)) : أي يشدد عليه في المرض وذلك من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر .

العطاء والسلب نعمة

أعلم يا عبد الله إن كل شيء ملك **لله** ﷻ فإن أخذ منك شيئاً فقد أخذ من مُلكه وإن أعطاك شيئاً فقد أعطاك من مُلكه ولهذا ذكر **الله** ﷻ أن من صفات الصابرين قولهم : ((إنا لله وإنا إليه راجعون)) .

وأعلم أن ما قدره الله لك هو الخير فلا تحزن إذا وجدت نفسك فاقداً لشيء معين وأنت تريده وتتمناه واعلم أن زينة الدنيا زائلة ولن يُصاحبك في

---

(١) **البخاري** (٥٦٧١) ، **ومسلم** (٢٦٨٠) .

(٢) يوعك : أي فيه شدة .

(٣) **البخاري** (٥٦٤٨) ، **مسلم** (٢٥٧١) .

قبرك إلا عملك تدبر قول الله ﷻ : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ [الكهف : ٤٦]

فهذا يُعني أن ما لك من مال أو أولاد في الحياة الدنيا فهو زينة وإذا تأملت معنى زينة تجد أن ذلك يعنى أنها ليست من ضروريات الحياة ولكنها مجرد شكل وزخرف – ولهذا نجد العبد المؤمن يرضى بما قُسم له ويعيش سعيداً لأن أمله الوحيد هو السعادة الأبدية و الفوز بجنة الخلد ، بل يعلم أن الإنسان قد يشقى بماله وقد يشقى بولده بل يتمنى أنه مات قبل أن يرزق هذا المال أو هذا الولد .

نعم : إن كثيراً من الناس يصيبهم الغم والهم بسبب عدم إنجاب الولد فيريد الرجل الولد ليكون له عزوة وعزة وربما يُرزق الولد ويرى الذل على يديه – وآخر رضى بما قسم الله له من عدم وجود الولد فعوضه الله عنه بأن يجعل كل الأبناء أبناءه يحبونه ويعاملونه كأنه أب لهم وهو يعاملهم كأنه أب لهم فيذوق لذة الأبناء دون أن يتعب في تربية الولد أو يحمل هم أحد كحال العلماء والدعاة إلى الله .

المال والبنون لن يدخلا معك القبر ولن يمنعاك من العذاب ولن ينفعك إلا عملك الصالح .

بل إن زينة الحياة الدنيا قد تكون عدواً للإنسان ولنتدبر قول الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التغابن : ١٤]

العدواة المذكورة ليست عدواة بغضاء ولكنها عدواة المحبة التي تكون سبباً

في الصد عن طاعة الله كالخروج للجهاد والنفقة والانشغال بهم عن الآخرة .

فإن أردت أن تستمتع بالدنيا فهاهي الدنيا : عَنْ عبَد اللَّه بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : ((**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِه مُعَافًى فِي جَسَدِه عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِه فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**))[1]

أي : من أصبح في يومه ووجد نفسه في عافية ليس مريضاً – آمنا في مكانه لا يهدد أمنه أحد – وعنده قوت يومه فهذه هي الدنيا فما زاد عن ذلك فهو زينة وفضل لا حاجة للإنسان فيه ولهذا يقول النبي ﷺ عَنْ عبد الله بن الشخير قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ قَالَ : ((**يَقُولُ : ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**))[2].

وإليك هذا المثال العظيم الذي يفسر الحديث السابق :

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((**مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟**)) قَالَتْ : مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا ، قَالَ : ((**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**))[3].

فقد أهديت شاة للنبي ﷺ وكانت عائشة رضي الله عنها تعرف أن رسول الله ﷺ يحب من الشاة الكتف فماذا فعلت رضي الله عنها احتفظت بالكتف وتصدقت بالباقي فلما أخبرت النبي ﷺ قال : ((**بَلْ بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**)) .

---

(١) **حسن** : الترمذي (٢٣٤٦) ، ابن ماجة (٤١٤١) .

(٢) **مسلم** (٢٩٥٨) .

(٣) **صحيح** : الترمذي وقال حديث صحيح (٢٤٧٠) ، أحمد (٢٣٧٢٠) .

العطاء قد يكون نقمة واستدراج

قد يعطى الله العبد مع كفره وجحوده وكثرة معاصيه استدراجاً له ليزداد إثماً ويغتر بهذا العطاء فيستحق أشد العذاب في الآخرة وجاء هذا في قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ [آل عمران : ١٧٨]

أي : يظن الذين كفروا بربهم ونابذوا دينه وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا وعدم استئصالنا لهم وإملاءنا لهم خير لأنفسهم ومحبة منا – كلا ، ليس الأمر كما زعموا ، وإنما ذلك لشر يريده الله بهم وزيادة في عقابهم وعذابهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ فالله تعالى يُملي للظالم حتى يزداد طغيانه ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر – فليحذر الظالمون من الإمهال ولا يظنوا أنهم يعجزوا الكبير المتعال .
وقال تعالى : ﴿ **لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧]

أي : لا تغتر بما فيه الكفار من نعيم دنيوي وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات وأنواع العز والغلبة في بعض الأوقات فإن هذا كله ((متاع قليل)) ليس له ثبوت ولا بقاء بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً .

أحذر المصيبة في الدين

أعلم يا عبد الله أن مصائب الدنيا كلها تهون وتزول فإن لم تزل في الدنيا فستزول أنت عنها وتنتقل إلى الدار الآخرة ولكن لنحذر جميعاً المصيبة في الدين .

وإليك هذا الدعاء العظيم المأثور ما روي أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ : قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِه : ((**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِه جَنَّتَكَ وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِه عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلاَ تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا**))[1].

والمصيبة في الدين تأتي عقاباً من **الله** ﷻ بسبب ذنوب العبد كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٠٠]

أي : أو لم يهتدوا أن الله لو شاء لأصابهم بذنوبهم فإن هذه هي سنة الأولين والآخرين فإن الله يعاقبهم بذنوبهم ويطبع على قلوبهم فيعلوها الران والدنس حتى يختم عليها فلا يدخلها حق ولا يصل إليها خير ولا يسمعون ما ينفعهم إنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم .

(١) **حسن**: الترمذي (٣٥٠٢) ، وذكره الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٨) .

أحذر يا عبد الفتن التي تصرف الإنسان عن دينه وتزحزحه عن عقيدته فقد أخبر النبي ﷺ عن حال العباد في آخر الزمان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ((**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا**))(١) .

فاصبر على دينك واقبض عليه وإياك أن تفرط فيه مهما كانت الصعاب أو المغريات فانظر إلى حال هذا الزمان يتقلب فيه العبد ليس بين طاعة ومعصية ولكن بين إيمان وكفر !أعاذنا الله من ذلك .

الصبر على الدعوة إلى الله ﷻ

أمر الله ﷻ بالدعوة إلى دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

فانعقد الفلاح على من دعا إلى الله ودل العباد عليه، بل إن الله ﷻ فضل هذه الأمة وجعلها خير الأمم بسبب دعوتها إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١١٠]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ﷻ عموماً تحتاج إلى الصبر وقوة إيمان لأن الداعي إلى الله سيلقي تكذيباً وسخرية واستهزاء

(١) مسلم (١١٨) .

وإعراض وإذا تدبرنا قول الله ﷻ عن نصائح لقمان : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [لقمان : ١٧]

فحثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بالصبر فقال واصبر على ما أصابك فدل ذلك على أنه لابد أن يبتلي إذا أمر أو نهى وفي ذلك مشقة على النفوس والذي يعين على ذلك هو الصبر فعلى الداعي الصبر وانتظار النصر من الله ﷻ الذي وعد به في آيات كثيرة والتي منها : ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ** ﴾ [الصافات : ١٧١ - ١٧٣]

فهذه بشارة عظيمة لعباد الله المرسلين وجنده المفلحين إنهم الغالبون لغيرهم المنصورون من ربهم نصراً عزيزاً يتمكنون فيه من إقامة دينهم وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٥]

أي : كتبناه في الكتب المنزلة بعد ما كتبنا في اللوح المحفوظ أن أرض الله يرثها ((**عِبَادِي الصَّالِحُونَ**)) الذين قاموا بالمأمورات واجتنبوا المنهيات فهم الذين يورثهم الله الجنات ودليل هذا قول أهل الجنة : ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنْ الْجَنَّة حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [الزمر : ٧٤]

والرسل جميعاً لاقوا عناء من قومهم وتكذيباً كما أخبرنا الله ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [الأنعام : ٣٤]

وقد ذكر النبي ﷺ مثالاً على صبر الأنبياء قَالَ عَبْدُ اللَّه : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي « **نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** »[1].

وغير ذلك أمثله كثيرة فإن إبراهيم القي في النار ، وذبح يحيى ، ونشر زكريا بالمنشار وهكذا ابتلى الأنبياء .. فما الذي يدفع أمثال هؤلاء لمثل هذا الصبر إنه الأجر والثواب من عند الله مالك الملك الذي يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب وكفى بالله حسيبا .

هذا بخلاف الذين قال الله فيهم : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [العنكبوت : ١٠]

أي : أن من الناس فريقاً لا صبر لهم على المحن ولا ثبات لهم على الأذى في سبيل الله فيقولون آمنا بالله فإذا أوذي أحدهم بإبعاد عن وظيفة أو بضرب أو أخذ مال أو تعيير ليرتد عن دينه وليراجع الباطل ﴿ **جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ أي : يجعلها صادة له عن الإيمان والثبات عليه .

(١) البخاري (٣٤٧٧ ، مسلم ١٧٩٢) .

الصبر على الحق

الثبات على الحق والاستمرار عليه يحتاج إلى صبر عظيم . الإنسان قد يلاقي شدة وتعذيب في سبيل الله كما حدث لآل ياسر : ياسر وزوجته سمية وابنهما عمار ، حيث يلاقون في سبيل الحق أشد أنواع العذاب فبأي شيء يصبرهم رسول الله ﷺ عندما مر عليهم وهم يعذبون !!

قال لهم : صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة

يالها من نهاية عظيمة تشوق عباد الله للصبر .

حقيقة هامة

حلاوة الثواب وانتظار الأجر تنسي الإنسان مرارة الألم

مثال آخر يدل على الصبر :

قصة ماشطة ابنة فرعون وفيها من عجيب ثباتها على الحق .. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « **لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِه الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِه رَائِحَةُ مَاشِطَة ابْنَة فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا ، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّه ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : لا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيك اللَّهُ ، قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا ، فَقَالَ : يَا فُلانَةُ وَإِنَّ لَك رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَة مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا حَاجَتُك ، قَالَتْ : أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي**

وَعظَامَ وَلَدي في ثَوْب وَاحد وَتَدْفنَنَا ، قَالَ : ذَلكَ لَك عَلَيْنَا منْ الْحَقِّ ، قَالَ : فَأَمَرَ بأَوْلَادهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحدًا وَاحدًا إلَى أَنْ انْتَهَى ذَلكَ إلَى صَبيٍّ لَهَا مُرْضَع ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ منْ أَجْله ، قَالَ : يَا أُمَّهْ اقْتَحمي فَإنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ منْ عَذَاب الآخرَة فَاقْتَحَمَتْ »[1].

الصبر على الجهاد في سبيل الله

قال الله ﷻ : ﴿ وَكَأَيِّنْ منْ نَبيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ ربِّيُّونَ كَثيرٌ فَمَا وَهَنُوا لمَا أَصَابَهُمْ في سَبيل اللَّه وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحبُّ الصَّابرينَ ﴾
[آل عمران : ١٤٦]

في الآية الكريمة حث للمؤمنين على الصبر على الجهاد في سبيل الله وحث على الاقتداء بالمجاهدين في سبيل الله في الأمم السابقة .

وكأين من نبي : كم من نبي قاتل معه ربيون كثير : جماعات كثيرون من أتباعهم الذين قد رباهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة فأصابهم القتل والأسر فما وهنت أبدانهم ولا استكانوا : أي ذلوا لعدوهم بل صبروا وثبتوا أمامهم ولهذا قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحبُّ الصَّابرينَ ﴾ .

الصبر على أذى الناس

المؤمن إذا خالط الناس لابد أن يلقى منهم أذى وعتاب وغيره فلابد أن يصبر على أذاهم ويمضي في ثباته على أمر الله والدعوة إليه ..

قال الله ﷻ : ﴿ خُذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْف وَأَعْرضْ عَن الْجَاهلينَ ﴾
[الأعراف : ١٩٩]

---

(١) حسن : رواه أحمد (٢٨١٧) .

إنها آية عظيمة جامعة لحسن الخلق مع الناس ، **خذ العفو** : خذ ما عفا من الناس وما تيسر منهم وما سمحت به أنفسهم وما سهل عليهم وتجاوز عن ما وراء ذلك .

وأمر بالعرف : مر بالخير والمعروف **وأعرض عن الجاهلين** ولا تقابل جهل الجاهل بجهل مثله ولكن أعرض عنه .

وإليك هذه الأمثلة العظيمة

عَنْ عَبْد اللَّه ﷺ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَة فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنْ الإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَاف الْعَرَب فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذ فِي الْقِسْمَة قَالَ رَجُلٌ : وَاللَّه إِنَّ هَذه الْقِسْمَةَ مَا عُدلَ فيهَا وَمَا أُرِيدَ بهَا وَجْهُ اللَّه ، فَقُلْتُ : وَاللَّه لأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : « **فَمَنْ يَعْدلُ إِذَا لَمْ يَعْدلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ** »[1].

فكان ﷺ يؤثر بعض زعماء القبائل فيزدهم من العطاء يبتغي بذلك وجه الله ليؤلف قلوبهم على الإسلام فيعترض رجل على فعله ويتهم رسول الله ﷺ بعدم العدل فيحمر وجه الرسول ﷺ ويكظم غيظه ولا ينتقم لنفسه ولكنه يطيع أمر الله ﷻ في قوله : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾

ويتذكر موسى عليه السلام فيقول : لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ! تواضعا منه ﷺ .

(١) **البخاري** (٣١٥٠) ، **مسلم** (١٠٦٢) .

وهذا مثال آخر عن عمر ﷺ : وفيه أَنَّ ابْنَ عَبَّاس رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَدمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخيه الْحُرِّ بْنِ قَيْس وَكَانَ منْ النَّفَرِ الَّذينَ يُدْنيهمْ عُمَرُ وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَته كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخيه : يَا ابْنَ أَخي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عنْدَ هَذَا الأَمير فَاسْتَأْذنْ لي عَلَيْه ؟ قَالَ : سَأَسْتَأْذنُ لَكَ عَلَيْه ، قَالَ ابْنُ عَبَّاس : فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لعُيَيْنَةَ ، فَأَذنَ لَهُ عُمَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْه قَالَ : هيْ يَا ابْنَ الْخَطَّاب فَوَاللَّه مَا تُعْطينَا الْجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْل ، فَغَضبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقعَ به ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ : يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لنَبيِّه ﷺ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْف وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهلينَ وَإِنَّ هَذَا منْ الْجَاهلينَ وَاللَّه مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حينَ تَلاَهَا عَلَيْه وَكَانَ وَقَّافًا عنْدَ كتَاب اللَّه »[1].

والمستفاد من الحديث أن عمر ﷺ كان جلساؤه من القراء - قراء القرآن - سواء كانوا شيوخاً أو شباباً ليشاورهم ولينظروا في مصلحة المسلمين الدينية والدنيوية ولما دخل عليه هذا الرجل « عيينة بن حصن » اتهم عمر ﷺ بعدم العدل فغضب عمر وهم به ولكن الحر بن قيس يذكره بآية من كتاب الله ليستعين بها على كظم غيظه والعفو عنه وهو قوله تعالى : ﴿ **خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ** ﴾ فسرعان ما وقف عمر .

فلننظر إلى المسارعة إلى طاعة الله ﷻ والاستجابة السريعة لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولمن ! لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فهذا هو العفو مع القدرة وجزاء مثل هؤلاء جاء في هذا الحديث : عن معاذ بن

(١) البخاري (٤٦٤٢) .

أنس ﷺ، عَنْ مُعَاذ بن أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: « **مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادرٌ عَلَى أَنْ يُنفذَهُ دَعَاهُ الله ﷻ عَلَى رُءُوسِ الْخَلائقِ يَوْمَ الْقِيَامَة حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ منْ الْحُورِ الْعِين مَا شَاءَ** »(١).

وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور** ﴾ [الشورى : ٤٣]

قال تعالى: ﴿ ... **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً** ﴾ [الفرقان : ٢٠]

الصبر على جور ولاة الأمور

إن جور ولاة الأمور وظلمهم غالباً ما يكون بسبب أعمال الناس وبعدهم عن منهج الله ﷻ فإذا رأيت ولاة الأمور قد صدوا عن سبيل الله وظلموا الناس ولم يحكموا بشرع الله وحالوا بينهم وبين الدعوة إلى الله ﷻ ففكر في حال الناس تجد أن البلاء أساسه من الناس انحرفوا فسلط الله عليهم من سلط من ولاة الأمر .

ويجب الصبر على ولاة الأمر وطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الخالق فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [النساء : ٥٩]

فأمر الله ﷻ بطاعته وطاعة رسوله بامتثال أمرهما الواجب والمستحب واجتناب نهيهما وأمر بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء

---

(١) **حسن** : أبو داود (٤٧٧٧) ، الترمذي (٢٠٢١) ، ابن ماجة (٣٣٧٥) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٢٢) .

والحكام بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله ، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وذلك كما جاء في الحديث : عن عبادة بن الصامت : فعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِت وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا : أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدِّثْ بِحَدِيث يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِه سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَة فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّه فِيه بُرْهَانٌ[1].

ولكن الطاعة في المعروف فقط .

ومنها : عَنْ عَلِيٍّ ﷺ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ فَغَضِبَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ أَمَرَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا فَجَمَعُوا ، فَقَالَ : أَوْقِدُوا نَارًا فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ : ادْخُلُوهَا فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا وَيَقُولُونَ : فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ النَّارِ فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتْ النَّارُ فَسَكَنَ غَضَبُهُ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : « **لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوف** »[2].

ومنها : عَنْ عَبْدَ اللَّه قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ : « **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا** » قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : « **أَدُّوا**

---

(١) البخاري (٧٠٥٦) ، مسلم (١٧٠٩) .

(٢) البخاري (٤٣٤٠) ، مسلم (١٨٤٠) .

إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ »[1].

ومعنى الحديث :

إخبار من رسول الله ﷺ أنه سيتولي على المسلمين ولاة يستأثرون بأموال المسلمين يصرفونها كما شاءوا ويمنعون المسلمين حقهم فيها وهذه أثرة وظلم من الولاة فقالوا : ما تأمرنا ؟

قال : « تؤدون الحق الذي عليكم » أي : لا يمنعكم استئثارهم بالمال عليكم أن تمنعوا ما يجب عليكم نحوهم من السمع والطاعة وعدم الإثارة وعدم التشويش عليهم – بل اصبروا واسمعوا وأطيعوا ولا تنازعوهم الأمر الذي أعطاهم الله .

« وتسألون الله الذي لكم » اسألوا الحق الذي لكم من الله .

أي : اسألوا **الله** ﷻ أن يهديهم حتى يؤدوكم الحق الذي عليهم لكم .

فمن المعلوم أن من عصى **الله** ﷻ فينا فلا نعصي الله فيه لأن الجميع سيقف أمام **الله** ﷻ يوم القيامة وما يكون في الدنيا من ظلم فلن يذهب هباءً أبداً فحق المخلوق لابد أن يؤخذ يوم القيامة وانتظار الفرج و الصبر عبادة وإذا انتظر العبد الفرج من الله فقد قال النبي ﷺ : عَن ابْن عَبَّاسٍ قَالَ : كُنْتُ رَديفَ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ : « **يَا غُلامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَات يَنْفَعُكَ اللَّهُ بهنَّ** ؟ » فَقُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ : « **احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إلَيْه في الرَّخَاء يَعْرفْكَ في الشّدَّة وَإذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعنْ باللَّه قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بمَا هُوَ كَائنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ**

(١) البخاري (٣٦٠٤) ، مسلم (١٨٤٣) .

كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))[1].

وقد أمر ﷺ بالصبر حتى نلقاه على الحوض فقال : عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاَنًا ؟ قَالَ : ((**سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**))[2]

فإن الصبر نهايته أن يسقيكم الله من حوض النبي ﷺ اللهم اجعلنا جميعاً ممن يرده ويشرب منه ..

هذا الحوض يكون في الآخرة حيث يحصل للناس من الهم والغم والكرب والعرق والحر ما يجعلهم في أشد الضرورة إلى الماء فيردون الحوض وهو عظيم طوله مسيرته شهر وعرضه كذلك يصب عليه ميزابان من الكوثر وهو نهر في الجنة أعطيه النبي ﷺ ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾

فيصبان عليه ماءً أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك وفيه أواني كنجوم السماء في اللمعان والحسن والكثرة من شرب منه شربه واحدة لم يظمأ بعدها أبداً .

فياله من أجر عظيم يعطيه الله لعباده الصابرين .

---

(١) **حسن** : أحمد (٢٨٠٠) ، أبو يعلى (٢٥٥٦) وأصله عند الترمذي (٢٥١٦) .

(٢) **البخاري** (٣٧٩٢) ، **مسلم** (١٨٤٥) .

الصبر على بر الوالدين

فهما جنتك ونارك فالصبر على برهما سبيل دخول الجنة استمع لقول النبي ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((**رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**)) قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ((**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ**))(١).

ويكفي أن الله حذرنا في معاملتهما من أدنى أنواع الأذى قال تعالى : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾ [الإسراء : ٢٣-٢٤]

﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ** ﴾ أي : تصبر على برهما وتكون معهما كالخادم بين يدي سيده .

الصبر على عشرة النساء

ولدوام العشرة الزوجية لابد من الصبر على خلق الزوجة ولأن المرأة خلقت من ضلع كما قال النبي ﷺ ..

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**))(٢).

---

(١) مسلم (٢٥٥١) .

(٢) البخاري (٥١٨٦) ، مسلم (١٤٦٨) .

وإن أعوج ما في الضلع أعلاه أي الرأس ، فينبغي على العبد إن كره منها خلق رضي منها آخر واستمع لهذه النصيحة ..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**))[1].

الصبر على فقد الأهل والأحباب جزاؤه الجنة

إن الموت مصيبة كبرى كما سماه الله ﷻ ﴿ **فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ** ﴾

والعبد المؤمن إذا صبر واحتسب على فقد صفيه ((من يحبه ويختاره في الدنيا من ولد أو أخ أو صديق أو غيره)) .

فجزاؤه الجنة وهذا كما جاء في الحديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ((**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ**))[2].

بيت الحمد لمن حمد الله واسترجع

هل تدري ما للعبد عند الله ﷻ إذا صبر على فقد حبيبه !!

فعَنْ أَبِي سِنَان قَالَ : دَفَنْتُ ابْنِي سِنَانًا وَأَبُو طَلْحَةَ الْخَوْلاَنِيُّ جَالِسٌ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَلَمَّا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ أَخَذَ بِيَدِي ، فَقَالَ أَلاَ أُبَشِّرُكَ يَا أَبَا سِنَان قُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْد الرَّحْمَن بن عَرْزَب عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : ((**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْد قَالَ : اللَّهُ لِمَلاَئِكَته قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَاده ؟**

(١) مسلم (١٤٦٩) .
(٢) البخاري (٦٤٢٤) .

فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ »[1].

ولنتذكر معا أم سليم وكيف كان صبرها واحتساها عندما فقدت ابنا لها وكيف أخبرت زوجها بموت ابنه ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ مَا فَعَلَ ابْنِي ؟ قَالَتْ : أُمُّ سُلَيْمٍ هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ وَارُوا الصَّبِيَّ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ تَمَرَاتٌ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا ثُمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ وَحَنَّكَهُ بِهِ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ »[2].

سبحان الله يؤتي الحكمة من يشاء :اللهم ارزقنا الحكمة .. فلننظر كيف هونت عليه الأمر ووضحت له أن الملك لله ﷻ وأن لله ما أعطى وله ما أخذ وكل شئ عنده بمقدار ولهذا عوضها الله خيرا رزقها عبد الله ابن أبي طلحة وكان له تسعة أولاد كلهم يقرءون القرآن .

---

(١) **حسن** : الترمذي (١٠٢١) ، أحمد (١٩٢٢٦) .

(٢) **البخاري** (٥٤٧٠) ، **مسلم** (٢١٤٤) .

البكاء لا يتنافى مع الصبر

أعلم يا عبد الله أنه يجوز البكاء على الميت بدون ندب ولا تسخط ولا كلام يغضب **الله** ﷻ بل إن البكاء رحمة جعلها الله تعالى الله تعالى في قلوب عباده فقد بكى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم كما روي ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ : « **إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ** »[١].

ظئر : يقال للرجل الحاضن ظئر أي زوج مرضعة إبراهيم عليه السلام .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ فَوَجَدَهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَتَبْكِي أَوَلَمْ تَكُنْ نَهَيْتَ عَنْ الْبُكَاءِ قَالَ : « **لاَ وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ وَشَقِّ جُيُوبٍ وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ** »[٢].

---

(١) **البخاري** (١٣٠٣) .

(٢) **حسن** : الترمذي (١٠٠٥) . الحاكم (٤/٤٣) . قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ، فيه محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى صدوق سئ الحفظ .

وأيضا بكى على ابن ابنته كما جاء ، عَنْ أُسَامَةَ بْنُ زَيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْه إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتنَا فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ وَيَقُولُ إِنَّ للَّه مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْه تُقْسِمُ عَلَيْه لَيَأْتِيَنَّهَا فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِت وَرِجَالٌ فَرُفِعَ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ[1] قَالَ حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : ((**هَذه رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ في قُلُوب عبَاده وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ منْ عبَاده الرُّحَمَاءَ**))[2].

فسبحان الله !! فوائد عظيمة نأخذها من الحديث فإنه قول عظيم ممن أوتى جوامع الكلم ولا ينطق عن الهوي ((وإن لله ما اخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب)) .

ولهذا يسن أن نقول هذا القول في العزاء ولمن ابتلي بفقد عزيز لديه .

فإن كل شئ في الدنيا ملك لله تعالى يتصرف فيه بحكمته كيف يشاء وكل شئ عنده له أجل مسمى لا يتقدم ولا يتأخر فهو مكتوب في قدر الله ولا بد أن ينفذ .

ويستفاد أيضا من بكائه ﷺ أنه رحمة بالصبي وليس جزعاً وإنما يرحم الله من عباده الرحماء فكلما كان الإنسان بعباد الله أرحم كان أقرب من رحمة الله ((اللهم إنا نعوذ بك من قساوة القلوب ونسألك اللهم أن تجعلنا من الرحماء

(١) تقعقع : تتحرك وتضطرب .

(٢) البخاري (١٢٨٤) ، مسلم (٩٢٣) .

الذين يتغمدهم الله برحمته)) .

وكذلك صح عنه ﷺ انه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : ((**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**))[1].

وكان ﷺ يبكي شفقة على أصحابه .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ فَقَالَ أَقَدْ قَضَى قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا فَقَالَ : ((**أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ**))[2].

وكذلك يجوز الكلام بدون تسخط أو إثم ، فقد ثبت أن فاطمة رضى الله عنها لما مات النبي ﷺ جعلت تقول من شدة حزنها عليه ما روي :- عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَم وَا كَرْبَ أَبَاهُ فَقَالَ : ((**لَهَا لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ**)) فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ : يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ

(١) مسلم (٩٧٦) .

(٢) مسلم (٩٧٦) .

فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَم يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ [1].

أجاب ربا دعاه : حيث تصعد روحه ﷺ كغيره إلى السماء السابعة .

والنعي : الإخبار بموت الميت . والمعنى أي : قد فُقد نزول الوحي إلى الأرض . والحزن مع الكظم وعدم الجزع والتسخط لا ينافى الصبر فقد قال تعالى عن يعقوب عليه السلام : ﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [يوسف : ٨٤]

فابيضت عيناه من كثرة البكاء على يوسف وأخيه ﴿ **فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ أي : قلبه ممتلئ حزنا شديدا .

الأخذ بالأسباب لا ينافى الصبر :

يجب على الإنسان أن يأخذ بالأسباب ويبذل غاية جهده في أمور دينه ودنياه ويصبر .. ومثال على ذلك ما فعله يعقوب عليه السلام فمع أنه صبر صبراً جميلا طلب من أبنائه أن يبحثوا عن يوسف وأخيه كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف : ٨٧]

أى : قال يعقوب عليه السلام لبنيه اذهبوا واحرصوا واجتهدوا على التفتيش عن يوسف وأخيه ولا تيئسوا من فضل الله ورحمته وإحسانه فلا ييأس إلا القوم الكافرون .

---

(١) البخاري (٤٤٦٢) .

الصبر عند الصدمة الأولى

إعلم يا عبد الله أن الصبر الذي يكون سببا في رفع الدرجات والدخول في عداد الصابرين هو الصبر عند الصدمة الأولى ولكن بعد ذلك يهون الأمر ويضعف ويتعود عليه الإنسان ويصبح مضطرا أن يحمل نفسه على الصبر وأنه لا فائدة من جزعه وسخطه ودليل ذلك .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ : ((**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**)) قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : ((**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**))[1] .

والمستفاد من الحديث : إن هذه المرأة فعلت مالا يحل فعله وهو أنها خرجت للمقبرة وجعلت تبكى وتظهر الجزع ، والهدف من زيارة المقابر الاتعاظ – أما الميت فانه ينفعه الدعاء والإنسان في بيته أو في أي مكان آخر ولهذا أمرها النبي ﷺ بالمعروف ، فقال لها : اتق الله واصبري ولكنها لم تستجب ، وقالت له إليك عنى أي اتركني وشأني والرسول ﷺ بلغها ونصحها فلما وجد منها عدم استجابة لم يشد عليها ولكن أعرض عنها امتثالا لقول الله تعالى : ﴿ **خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ** ﴾

[الأعراف : ١٩٩]

فهذا يدل على حلمه ﷺ وعدم امتناعه عنهم فلما اعتذرت وضح لها النبي ﷺ أن الصبر عند الصدمة الأولى .

(١) البخاري (١٢٨٤) ، مسلم (٩٢٣) .

الصبر على الصرع

مرض الصرع قد يكون مرض عضوي بسبب تشنج الأعصاب ويتم معالجته طبيا ..

وقد يكون بسبب شياطين الجن حيث يتسلط الجني على الإنسي فيصرعه ويضرب به الأرض ويغمى عليه وعلاج هذا النوع الأذكار والأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ الصبر على الصرع جزاءه الجنة كما جاء في هذا الحديث عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : هَذِه الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي ، قَالَ : « **إِنْ شِئْت صَبَرْت وَلَك الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْت دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَك** » فَقَالَتْ أَصْبِرُ فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا [١].

سبحان الله وما يتذكر إلا أولو الألباب فمع أنها امرأة ولكنها اختارت الباقي على الفاني : اختارت الجنة ولم تتعجل الشفاء من الصرع وفى نفس الوقت ننظر إلى حيائها! فقالت إني أتكشف فادع الله أن لا اتكشف ، فدعا لها النبي ﷺ فصارت تصرع ولا تتكشف انظر يا عبد الله بعين الاعتبار والتفكر إلى فضيلة الصبر ونهايته إنها الجنة .

الصبر على الطاعون

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا أَخْبَرَتْنَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّه ﷺ أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ

---

(١) البخاري (٥٦٥٢) ، مسلم (٢٥٧٦) .

اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ(١).

فمن المعلوم أن مرض الطاعون من الأمراض الخطيرة المعدية التي تفتك بالناس وتنتشر بسرعة .

ولهذا أمر الرسول ﷺ بعدم القدوم على البلد التي يكون فيها مرض الطاعون لئلا يُلقى الإنسان بنفسه في التهلكة وكذلك نهى عن الخروج من الأرض التي بها الطاعون فرارا منه لأن هذا المرض معدي ولأن قدر الله لابد أن ينفذ .

عَنْ أُسَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**))(٢).

فمن امتثل الأمر ولم يخرج من الأرض التي فيها الطاعون بقضاء الله وقدره وصبر واحتسب كان له مثل أجر الشهيد كما صح عن النبي .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**))(٣).

الصبر على فقد البصر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : ((**إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ(٤) فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**)) يُرِيدُ عَيْنَيْهِ تَابَعَهُ

(١) البخاري (٥٦٥٢) .
(٢) البخاري (٣٤٧٣) ، مسلم (٢٢١٨) .
(٣) البخاري (٢٨٣٠) ، مسلم (١٩١٦) .
(٤) حبيبتيه : عينيه .

أَشْعَثُ بْنُ جَابِرٍ وَأَبُو ظِلَالِ بْنُ هِلَالٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ(١).

فالبكاء لا يتنافى مع الصبر والأخذ بالأسباب لا يتنافى مع الصبر .

والدعاء والشكوى إلى الله لا تتنافى مع الصبر .

أيوب عليه السلام عندما أصابه الضر في جسده وهلك ماله وأهله فلم يشتك لغير الله ولا لجأ إلا إليه كما أخبرنا **الله** ﷻ في قوله : ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ [ص : ٤١]

وعده **الله** ﷻ من الصابرين فقال تعالى عنه : ﴿ **وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص : ٤٤]

أي : ابتليناه بالضر العظيم فصبر لوجه الله ، فنعم العبد حيث أكمل مراتب العبودية في حال السراء والضراء والشدة والرخاء فإنه أواب « كثير الرجوع إلى الله في مطالبه الدينية والدنيوية كثير الذكر لربه والدعاء له » وكذلك يعقوب عليه السلام فإنه كان صابرا وكان يقول : ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف : ١٨]

وعندما فقد يوسف عليه السلام اشتكى إلى **الله** ﷻ واستعان به وهذا من لوازم الصبر فقال : ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٨٦]

وأمثلة أخرى كثيرة تدل على أن إظهار البلاء والشكوى إلى الله بدون تضجر لا ينافي الصبر .

الإخبار بما يؤلم هل ينافي الصبر ؟

---

(١) البخاري (٢٨٣٠) .

الإخبار بما يؤلم الإنسان بدون شكوى لا ينافي الصبر كذلك فإن الإخبار بما يجد الإنسان من ألم أو يلاقي من شدة بدون شكوى وتضجر وسخط لا ينافي الصبر ومثال ذلك قول النبي ﷺ وهو في مرض موته كما رُوي أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ : آخُذُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ أُلَيِّنُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ[1] .

وكذلك أخبرت عائشة رضى الله عنها النبي ﷺ بصداع في رأسها فأخبرها النبي ﷺ بأنه هو أيضاً يجد صداعا في رأسه كما جاء فى الحديث عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ وَا رَأْسَاهُ فَقَالَ بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَا رَأْسَاهُ ثُمَّ قَالَ مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي فَقُمْتُ عَلَيْكِ فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ[2] .

ورواه البخاري من وجه آخر .

(١) **البخاري** (٤٤٤٩) ، مسلم (٢١٩٢) .

(٢) **حسن** : ابن ماجة (١٤٦٥) وقال البوصيري رجاله ثقات .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَارَأْسَاهْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : ((**ذَاك لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرُ لَك وَأَدْعُو لَك**)) ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَا ثُكْلِيَاهْ وَاللَّه إِنِّي لأَظُنُّكَ تُحبُّ مَوْتِي وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلَلْتَ آخرَ يَوْمكَ مُعَرِّسًا ببَعْض أَزْوَاجكَ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : ((**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ**))[1] .

إذن يتضح أن الإنسان إذا كانت نيته الإخبار بما يجد من ألم أو شدة فهذا لا ينافي الصبر بخلاف إن كان الإنسان يريد من ذلك الشكوى فهذا ينافي الصبر .

اجعل الآخرة نيتك وهمك تكن من الصابرين .

إعلم يا عبد الله مهما فعلت للدنيا فلن تنال منها إلا ما قدر لك ،

وإذا عملت للآخرة واجتهدت في طاعة الله نلت حسن الجزاء وسوف يزيدك الله من الثواب ويرفعك في الدرجات العلي قال تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ** ﴾ [الشورى : ٢٠]

وتذكر يا عبد الله قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً ۞ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً** ﴾
[الإسراء : ١٨ - ١٩]

ففى الآية الأولى يوضح الله ﷻ أن من أراد العاجلة وهى الدنيا الزائلة عجل الله له فيها بما قدر له فقط وذلك لقوله تعالى : ﴿ **مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ** ﴾

---

(١) البخاري (٧٢١٧) ، مسلم (٢٣٨٧) .

إذن لابد أن ينفذ قدر الله ﷻ فقد يعطى منها وقد لا يعطى فهذا في الدنيا ثم في الآخرة جعل الله له جهنم والعياذ بالله يباشر عذابها مذموما مدحورا : أى : في حالة من الفضيحة والخزي أعاذنا الله من ذلك ، ثم في الآية الثانية يوضح الله ﷻ أنه من أراد الآخرة وعمل لها وآثرها على الدنيا ﴿ **وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا** ﴾ أو عمل بما أمر ﴿ **وَهُوَ مُؤْمِنٌ** ﴾ حيث أنه شرط لقبول الأعمال ﴿ **فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً** ﴾ **أي** : عملهم مقبولا مدخرا لهم الأجر والثواب عند الله .

وفى نفس الوقت ننتبه أن من أراد الآخرة لا يفوته نصيبه من الدنيا فإنه أيضاً له ما قدر له فيها فإن الله يمد خلقه جميعا بعطائه ونعمه فعطاء الله ليس ممنوعا من أحد وجاء هذا في قوله تعالى : ﴿ **كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾ [الإسراء : ٢٠]

فلننظر بعين الاعتبار إلى الفرق العظيم الذي سيكون في الآخرة بين من كان همه الدنيا ومن كان همه الآخرة .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((**مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ**))[1].

ولهذا قال الله ﷻ : ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [طه : ١٣١]

(١) **صحيح** : الترمذي (٢٤٦٥) ، ورواه ابن ماجة من طريق زيد بن ثابت (٤١٠٥) .

فيقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ : - ولنا فيه الأسوة الحسنة - لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وما هم فيه من نعيم فهو زهرة الحياة الدنيا لابد أن تذبل وينتهي أمرها وإنما جعلها الله ﷻ لهم ليختبرهم بذلك ولهذا قال تعالى : ﴿ **وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ .

أنظر إلى حال النبي ﷺ وعمر يصف الحالة التي رآه عليها .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ ﷺ عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا فَحَجَجْتُ مَعَه فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ الإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ الله ﷻ لَهُمَا إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا فَقَالَ وَا عَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ .... وَفيه فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ... فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ فَقُلْتُ ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي[1].
أهب : الجلد قبل أن يدبغ .

---

(١) البخاري (٢٤٦٨) ، مسلم (١٤٧٩) .

وهكذا كان صبره ﷺ ... ينتظر النعيم الأبدى في الآخرة فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها .. وكان إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله و لم يدخر لنفسه شيئا ﷺ .

الدعاء

ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين فالحمد لله الذي وفقنا لكتابة
هذا الرسالة المتواضعة وأدعو الله العلي القدير أن يجعله حجة لنا
لاحجة علينا واستعيذ بالله السميع العليم من النفاق والرياء .

أسال الله العلي العظيم أن يغفر لي ما فيه من خطأ وزلل ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

كتبته
الفقيرة إلى عفو ربها
أم أنس
سمية محمد الأنصاري

مطوبس في ٢٥جمادي الأول ١٤٢٣هـ

الفهـرس

الموضـــــوع	الصفحة